مخاطرات

اللص الشريف

مفاجآت

٥ نوفمبر ١٩٣٥

العدد الثامن من السنة السابعة

أرسين لوبين

صاحب امتيازها ومديرها
محمد انور المرصفي
رئيس التحرير
توفيق حبيب
الإدارة شارع الجنينة البحري نمرة ١٦
ص . ب ١٦٨٩ تليفون ٤٣٨٠٣

شهرزاد
لمؤسسها المرحوم
محمد حسن نايل المرصفي

FONDATEUR:
Feu Mohamed Hassan Nayel El-Marsafi
DIRECTEUR:
Mohamed Anwar El-Marsafi
REDACTEUR EN CHEF:
Tewfik Habib
DIRECTION:
Rue El Guinena El-Bahari No. 16
B.P 1689 — Tél. 43803.

اللص الشريف

البطل الشهير أرسين لوبين في أروع حوادثه

(ترجمة)

الأستاذ صادق راشد

الفصـــــــل الاول

انسابت أشعة الشمس من خلال النوافذ فغمرت القاعة الكبرى فى قصر آل كارميراس وانعكس ضياؤها الفضى على الجدران المعتمـة ، وعلى الأثاثات التى حال لونها وذهبت جدتها ، فأكسبها رونقاً ورد عليها بعض روائها القديم .

وتساقطت الأشعة على الصور الأثرية المنتشرة على الجدران — صور أولئك الذين طوتهـم القبور من آل كارميراس فكشفت منها وجوها صارمة رزينة لرجال الحرب والسياسة ، أو وجوها حلوة وديعـة للغيد الحسان من فتيات هذه الأسرة العريقة فى النبل .

على أن أجمل وجه يمكن أن تستقر عليه العين فى هذه القاعة إنما كان وجه هذه الفتاة الجالسة الى منضدة صغيرة على كثب من النافذة وقد انهمكت فى الكتابة .

كان جمالها بديعا يتسم بالرقة والوداعة ، ولها بشرة تبدو فى العين شفافة رائقة . أما وجنتاها فقد تضرجتا بلون وردى فتان .

وكان فى عينيها صفاء عجيب وسحر يطغى فلايقاوم وفى شفتيها مايغرى الناظر بأن ينحى عليهما بالقبلات ، وعلى جبينها تتهدل خصلات ملتوية من شعر ذهبى جميل .

على انك لو تأملت هـذا الوجه برهة لفطنت حتما الى سحابة من الحزن تتمشى فى قسماته وتظلل بريق عينيها من حين لآخر .

وكانت على المنضدة قائمة طويلة من الاسماء والفتاة تلقى عليها نظرة مابين لحظة وأخرى وهى ماضية فى كتابة الأسماء والعناوين على المظاريف المكدسة أمامها ، فاذا مافرغت من أحدها دست فيه بطاقة دعوة إلى عرس تحمل هذه الكلمات مطبوعة : —

« مسيو جورناى مارتان يتشرف بأن يخطركم بزواج ابنته جرمين من الدوق كارميراس . »

وكانت الفتاة ماضية فى عملها لاتردها عنه حتى هذه الجلبة التى تصدر أحيانا من الفتيات اللائى كن يلعبن فى حديقة القصر .

وارتفع فى هذه اللحظة صوت من الحديقة ينادى

— سونيا . . ! سونيا . . !

فكفت الفتاة عن الكتابة ولبت النداء قائلة :

— نعم يامدموازيل جرمين . . ؟

فأجاب الصوت فى لهجة صارمة آمرة :

— الشاى . . ! مرى بالشاى على الفور .

فأجابت سونيا بقولها :

— سآمر بتهيئته حالا .

ثم زايلت مقعدها ومشت إلى الجرس فدقته فلما لبى الخادم نداءها قالت له :

— الفريد . . ! أحضر الشاى من فضلك . . !

—وكم عدد الأشخاص يا آنسة . . !

— أربعة . . إلا اذا كان سيدك قد رجع من الخارج
أحسبه لن يعود إلا بعد ساعة فقد مضى الى رين ليتناول الغداء .
— وهل عاد الدوق . . ؟
— لم يعد بعد .
واستدار لكى ينصرف ولكنها استوقفته بقولها :
— لحظة واحدة يا الفريد . . . هل أعددتم حقائبكم للرحيل إلى باريس . . ؟ لقد أزفت ساعة السفر . . وهل تهيأت الخادمات لذلك . . ؟
فقال الفريد مجيبا :
— لقد استعد الرجال جميعا أما الخادمات فلا علم لى بأمرهن .
— يحسن بك اذن أن تستحثهن إلى الاسراع وارجوك ان تعجل بالشاى .
ورجعت سونيا إلى طاولة الكتابة وتناولت القلم وانكبت على عملها ثانية .
ولكن الصوت الآمر المتعجرف عاد يدوى قائلا :
— ماذا تصنعين ياسونيا . . ! ألا تنوين أن تفرغى من هذه الرسائل . . !
وبرزت فى القاعة المادموازيل جرمين جورناى مارتان وقد بدت فى قسمات وجهها امارات الغضب .
وكانت وريثة ملايين جورناى مارتان تحمل فى يدها مضرب التنس وقد التمعت عيناها وتضرج وجهها احمرارا وكانت تمشى رافعة الرأس شامخة الأنف فى صلف وكبرياء وخلفها صديقتاها جان جوتييه ومارى بوليه .
وأومأت مارى إلى أكداس الخطابات المكومة على الطاولة وقالت متسائلة :
— أهذه كلها بطاقات دعوة . . ؟
فقالت جرمين فى زهو وخيلاء :
— نعم . . وتصورى أننا لم نبلغ بعد الاحرف الفاء . . !
فمدت مارى تقلب الرسائل وتلقى عليها نظرة خاطفة وهى تقول :
— الأميرة دى فرنان . . الدوقة دى فوفيز . . المركيز والمركيزة دى فالان . . أوه . . لقد دعوت نبلاء باريس جميعا ياجرمين . . !
وقالت جان جوتييه وهى تطلق ضحكة ساخرة :
— ولكننى موقنة انك لا تعرفين من بين المدعوين إلا اعدادا قليلا
فشمخت جرمين بأنفها وقالت فى خيلاء :
— عفوا ياعزيزتى ولكنك مخطئة فيما تظنين . . لقد أقامت مدام ريلزيير — عمة خطيبى — حفلة ساهرة تكريما لى وعرفتنى بنبلاء باريس وعظمائها . . وهم الذين سيدعون إلى حفلة زفافى . .
فقالت جان فى لهجة ذات معنى :
— عندما تصبحين الدوقة كاراميراس ستنسين صديقتك من مثيلاتنا . . !
فقالت جرمين :
— أوه . كلا .
ثم أردفت على عجل لكى تحول مجرى الحديث :
— سونيا . . لا تنسى فوليجليز . . والعنوان هو رقم ٣٣ بشارع الجامعة .

فتناولت سونيا مظروفا كتبت عليه العنوان وهى تردده فى صوت خافت فبادرتها جرمين بقولها :

— تريثى قليلا ولا تلصقى الغلاف . . !

ثم أردفت فى صوت منخفض كأنما تخاطب نفسها :

— ليت شعرى أيكفى صليب واحد أم اثنان أم لا بد من ثلاثة صلبان

فحملقت فيها الفتاتان وقالت فى صوت ملؤه الدهش :

— ما معنى هذا . . ؟

فأجابت جرمين مفسرة :

— صليب واحد معناه دعوة إلى الذهاب إلى الكنيسة وحضور حفلة الزفاف . وصليبان معناهما حضور حفلة الزفاف والمأدبة . أما الثلاثة الصلبان فمعناها حضور الزفاف والمأدبة وتوقيع عقد الزواج ولست أدرى إلى أى شىء من هذا أدعو الدوقة فوليجليز . . فماذا تريان فى هذا . . ؟

فقالت جان مجيبة :

— لا تسليني رأيا فى الأمر فانى ما عرفت هذه السيدة العظيمة .

وهزت مارى كتفيها وقالت :

— ولا أنا . . !

فقالت جرمين :

— وأنا أيضا لست أعرفها . ولكن اسمها مدرج فى قائمة أصدقاء المرحومة الدوقة كارميراس والدهجاك . . . لقد كانت الدوقتان على علاقات ودية وثيقة ولكن مكانة الدوقة فوليجليز قد تضاءلت اليوم وإن كان الناس مازالوا يحترمونها لتقواها

فقالت جان :

— إذن فارسمى على بطاقتها ثلاثة صلبان :

ولكن مارى بادرتها معترضة :

— لو اننى كنت مكانك لرجعت فى هذا إلى رأى خطيبى .

فهزت جرمين كتفيها بلا اكتراث وقالت :

— خطيبى . . ! لعمرى انه قلما حفل بشىء من هذا . . ! لقد أبدلت هذه السبع السنوات الأخيرة من خلقه وأحالته مخلوقا جديداً لا يبالى بشىء . . ! تصورى انه منذ سبع سنوات قام برحلته إلى القطب الجنوبى لا لشىء إلا لكى يجعل الناس يتحدثون عنه والصحف تطنب فى الاشارة باسمه . . ! لقد كان فى تلك الأيام دوقا حقيقيا . . !

فقالت جان متسائلة :

— وما شأنه اليوم . . ؟

— اليوم . . ! لقد أصبح لا يبالى بالمظاهر ولا يستطيره الغرور ولا يبدو للناس فى خيلاء . . ! انه اليوم يمقت الاجتماعات ويفر من قيود التقاليد . . ! انه اليوم رزين هادىء كالقضاة .

ولكن سونيا قالت فى اعتراض :

— بل اننى لا أراه الا مرحا طروبا . . . !

فرمقتها جرمين بنظرة شذراء وقالت :

— انه لايعرف المرح إلا اذا أراد أن يعبث بالناس ويتهكم عليهم .. ! أما فيما عدا هذا فهو رزين هادىء.
فقالت جان :
— انى لأحسب أباك راضيا عن هذا التغيير ...؟
— بلا شك .. وهو اليوم يتناول الغداء مع الوزير فى دين لكى يسأله أن يمنح جاك وساما .
فابتسمت مارى وقالت :
— ان وسام اللجيون دونير لذو شأن عظيم
ولكن جرمين هزت كتفيها فى استخفاف وقالت:
— ان الوسام يلائم من كان من بيئة متوسطة ولكنه لايلائم الدوقات
وأقبل الفريد يحمل اوانى الشاى .
وحانت لفتة من جرمين الى البيانو فقالت فى شى من الدهش :
— ماهذا .. ؟ ما الذى وضع هذا التمثال فى هذا المكان ؟
وأومأت بأصبعها الى تمثال صغير من الفضة موضوع فوق البيانو
فقالت سونيا مجيبة وقد ارتسمت امارات الدهشة فى وجهها
— هذا عجيب ... ! عهدى به كان على المنضدة فى موضعه المألوف
فتحولت جرمين الى الخادم وقالت سائلة :
— الفريد ... هل نقلت هذا التمثال من موضعه ..؟
— كلا ياسيدتى
— ولكن لاريب ان شخصاً ما قد مسه ...!
— انى مارأيت أحداً يدخل الى هذه القاعة .
فقالت سونيا .
— هذا عجيب .. ان التماثيل لايمكن أن تتحرك من مواضعها من تلقاء نفسها .
واستقرت انظار الفتيات على التمثال كانما كن يتوقعن ان يتحرك مرة اخرى من مكانه . ومشى الفريد الى البيانو فرفع التمثال ورده الى موضعه المألوف .
وانشأت جرمين تتحدث عن زواجها وعن الثياب التى ابتاعتها وعن الهدايا التى ارسلت اليها .. ثم تحولت الى سونيا تقول :
— اما تحدثت الى أحد تليفونا من بيت أبى فى باريس ..؟
— كلا ..!
— هذا معناه انه لم تصلنى اليوم هدايا .. ! هذا شىء يضايق ..!
وبدا التذمر على وجهها فقالت سونيا تسرى عنها :
— اليوم الأحد والبريد لايوزع الا مرة واحدة .
وقالت جان متسائلة :
— ألا ينوى الدوق أن يحضر الآن ليتناول الشاى ؟
— انى أنتظر قدومه فى الساعة الخامسة ..! لقد ذهب الى زيارة الأخين دى بوى وسيحضران معاً .
فقالت مارتا فى دهش :

— ذهب الى زيارة دى بوى ..! ولكن متى ؟

بعد ظهر اليوم .

— هذا غريب .! لقد ذهب أخى الى زيارة أندريا وجورج فعلم انهما غادرا الدار منذ الصباح ولن يعودا الا فى المساء ..! فكيف يذهب الدوق الى زيارتهما وهما غائبان عن الدار . !

فقالت جرمين :

— لست أدرى .! ولكن هذا هو ما حدثنى به .!

فابتسمت جان وقالت فى خبث :

— يحسن بك ياعزيزتى أن تبحثى الأمر جيداً فأنى أخشى أن يكون قد انتحل هذه الزيارة عذراً ليس الا .!

فقالت جرمين على عجل :

— شكراً لك ولكننى شديدة الثقة بجاك .!

فهزت جان كتفيها وقالت :

— هذا شأنك أنت .! وحسبي انني حذرتك .!

ودق جرس التليفون فأسرعت اليه جرمين وقالت تخاطب محدثها :

— هالوا ..! بيير .. ! من .. ! فيكتورا .. ! إذن فقد وصلت بعض الهدايا ..! ماهى ..! ماذا ! مدية ورق ..! ومدية ورق أخرى ..! ومحبرة ..! أوه سحقاً لهذه الهدايا ..! ممن جاءتنى ..؟ ماذا ..؟ من الكونتس رودلف والبارون دى فاليرى .. !

ثم تحولت إلى صاحباتها وقالت فى ابتهاج .

— أوه ياصديقاتى ..! لقد وصلتنى أيضاً قلادة من اللآلىء ..! قلادة كبيرة

فهتفت مارى :

— هذا بديع ..!

وقالت جرمين تسائل محدثها فى التليفون :

ومن صاحب هذه القلادة .. ؟ أحد اصدقاء أبى ..! فيكتوار ..! يجب أن توصدى الابواب جيداً .:؟ وضعى القلادة فى الخزانة السرية .. نعم .. شكراً لك

وردت سماعة التليفون مكانها ورجعت إلى صاحباتها وهى عابسة الوجه وقالت :

— ان أصدقاء أبى يبعثون الى بهدايا نفيسة .. أما الأغنياء والعظماء فلا يرسلون الامدى الورق .. وهذه غلطة جاك على أية حال ..! انه لايحفل بهذه التقاليد الاجتماعية . . اتصورن أن أكثر الناس لايعرفون اننا خطيبان ..!

فابتسمت جان وقالت .

— كان ينبغى الاعلان عن هذه الخطبة .!

فقالت جرمين .

— قد تكونين ساخرة فيما تقولين ..! ولكن الواقع أن هذا هو رأى مدام ديلزيير وقد صارحتنى به فى الحفلة الساهرة التى أقامتها تكريماً لى .!

وزايلت جرمين مقعدها ومشت الى النافذة تطل منها على الحديقة . ومالت جان الى مارى وهمست تقول فى صوت غير مسموع :

انها لن تكف عن التشدق بهذه الحفلة التى أقيمت لها

وساد الصمت برهة فبترته مارى بقولها :

وبمناسبة الحديث عن مدام دى ريلزيير هل تعلمين أنها اليوم فريسة القلق والانزعاج لأن ابنها سيبارز خصماله ..!

فقالت سونيا متسائلة :

ومن يكون خصمه ..؟

فقالت جرمين :

— ان ريلزيير من أبرع حملة السيف فى فرنسا ولا أرتاب فى أنه سيقهر خصمه .

ولزمت سونيا الصمت ولكن بدت على جبينها وفى عينيها آثار الانزعاج والاضطراب :

وقالت جان بغتة :

— ان ريلزيير صديق قديم لخطيبك .. أليس كذلك .؟

— هذا صحيح .:! ولقد كان آل ريلزيير هم السبب فى تعارفنا بجاك . ولقد تم التعارف فى هذا القصر .!

فقالت مارى فى شىء من الدهش :

— عجيب .! أفى قصره هو يتم التعارف .!

فقالت جرمين باسمة :

— نعم .. فبعد شهور من وفاة والد الدوق أراد جاك أن يبيع القصر ليهيء المال ليقوم برحلته إلى القطب الجنوبى . وكان أبى شديد الرغبة فى أن يبتاع قصراً تاريخياً . ولكن لولا الروماتيزم الذى كان أبى مصابا به لما أصبحت أنا الدوقة دى كارميراس .

فقالت جان فى تساؤل:

— وما الصلة بين الروماتيزم وزواجك !؟

— لقد خشى أبى أن يكون القصر رطباً والرطوبة لاتلائمه وهو مريض بالروماتيزم فما كان من جاك إلا أن دعاه الى الاقامة فى القصر ثلاثة أسابيع ليثبت له أنه خال من الرطوبة .

فقالت مارى :

— مسلكه هذا يدل على أنه دوق حقيقى.

فاستطردت جرمين تقول :

— والغريب أن ابى شفى من الروماتيزم فى خلال مدة الضيافة كما أن جاك وقع فى غرامى ..! وبذلك اشترى أبى القصر وخطبت أنا جاك .!

فقالت مارى :

— أنت التى خطبتيه.! ولكن سنك لم تكن تعدو السادسة عشرة إذ ذاك .!

— ولكننى حتى فى هذه السن ما كنت أجهل أن الدوق لقب رفيع يجب ألا يفلت من يدى . ولكننا قررنا أن نتريث فى الأمر حتى يعود جاك من رحلته إلى القطب الجنوبى .

— زواجك أشبه بقصة روائية شائقة !

فمطت جرمين شفتيها وقالت :

— قصة روائية .! لو اننى كنت أعلم انه سيقيم فى القطب الجنوبى سبعة أعوام لما فكرت فى أن ..

فقاطعتها مارى بقولها :

— الحق انه اخطأ فى هذا .. إذ كيف يعدك بان يتغيب ثلاث سنوات فكيف تطول غيبته إلى سبع ..

فقالت جان فى خبث :

— ان شباب جرمين لايذوى ولايذبل .

فقالت مارى :

— انت الآن فى الثالثة والعشرين .! أى فى عنفوان شبابك

— أوه.. شكراً .! وتصورى عذابى حين نزل المرض بالدوق فلما برىء منه أصر على اتمام رحلته وتتابعت السنون ونحن لا نسمع عنه خبراً ولانتلقى رسالة واحدة .! لقد مرت بنا ستة شهور وقد ألقى فى روعنا انه قضى نحبه .

فقالت سونيا :

— هذا فظيع .

واستطردت جرمين تقول :

— وفى أحد الأيام تلقينا تلغرافاً منه بأنه سيعود ..! وأخيراً رجع إلينا الدوق سالماً .

فقالت سونيا :

— هذا عذاب لايحتمل .. !

فضحكت جان ضحكة ساخرة وقالت :

— بل يحتمل فى سبيل اللقب ..! الآن ستصبح المدموازيل جرمين جورناى مارتان الدوقة كارميراس .! أليس هذا ربحا عظيما ..!

فقالت مارى :

— وتصورى أن جرمين كانت وشيكة بأن تتزوج فى خلال هذه السبع السنوات ..! ولقدكان الذى تقدم يخطبها بارونا ليس إلا بكل أسف .. !

فقالت سونيا متسائلة :

— أحقاً هذا . . ؟

فقالت جرمين:

— نعم ... لقد كنت وشيكة بأن أرتكب حماقة لاتغتفر بزواجى من بارون ..!

ولكنها أردفت على عجل :

— ولكن البارون لايلزيير هو ابن عم الدوق ، ولهذا كان من المحقق أن لقب الدوقة سيؤول الى البارون فى حالة وفاة جاك فكنت سأصبح دوقة على أية حال حتى ولو تزوجت بارونا .. !

فقالت جان فى سخرية :

— وهذا هو مايعنيك طبعاً .. ! ولكنك أحسنت باختصار الطريق .. !

ثم نهضت الفتاتان جان ومارى وتهيأتا للانصراف .

وقالت جرمين بعد أن أوصدت الباب خلفهما :

— لشد ما أمقتهما . . ! إن لهما لسانا سليطاً لايرحم . . !

فقالت سونيا :

— ولكنهما فيما أرى طيبتا السريرة . . !

فقالت جرمين :

— طيبتا السريرة .. ! إنهما تكادان تنفجران حسداً لى وغيظاً منى .. !

الفصل الثانى

رجعت سونيا إلى طاولة الكتابة وانكبت ثانية على عملها . على حين أخذت جرمين تروح فى المكان وهى تنسق هذا أو تصلح من وضع ذاك أو توجه الى سونيا مابين لحظة واخرى سؤالا عن أمر .

وفتح الباب ودخل الفريد فأنبأ سيدته أن بالباب رجلين يطلبان مقابلتها فقالت:

— لاريب أنهمامسيودى بوىوأخوه.؟

— انهما لم يذكرا الى اسما ياسيدتى .

— دعهما يدخلا .

فهم بأن يمشى الى الباب ولكنه استدار الى جرمين وقال :

— وهل لدى سيدتى أمر تحب أن أنقله الى فيكتوار عند وصولنا إلى باريس

— وبأى قطار ترحلون . . ؟

— بقطار الساعة السابعة

— حسنا . . أدخل مسيو دىبوى واخاه

ثم مشت الى النافذة ووقفت الى جوارها وقد تهيأت للقاء القادمين .

وحانت منها لفتة الى النافذة فاتسعت حدقتاها وقالت فى فزع :

— ماهذا . .

فرفعت سونيارأسها وقالت:

— ماذا جرى . .

— انظرى الى النافذة . . ! إن أحد الالواح الزجاجية منزوع من موضعه .

فنظرت سونيا الى الثغرة البادية فى النافذة وقالت :

— لقد انتزع اللوح الزجاجى فوق موضع المزلاج .

وفتح باب القاعة فى هذه اللحظة فكفت الفتاتان عن الحديث ونظرت جرمين الى القادمين فألفت أحدهما كهلاقصير القامة على شىء من البدانة وفى اثره شاب شديد الشبه بالكهل تخمنت الفتاة أن يكون أبا وابنه.

وانحني الكهل أمام جرمين وقال :

— انى أدعى مسيو كاروليه من ذوى الأملاك فى رين وحائز على وسام اللجيون دونو . .وهذاهوابنى وقد غادرنا رين هذا الصباح . وتناولنا طعام الغداء فى مزرعة كيرلور .

وهمست سونيا فى اذن جرمين تقول :

— هل آمر لهما بالشاى . . ؟

فقالت جرمين في صوت حاد :

— لا . . لا . .

واستطرد الكهل يقول :

— ولقد حضرنا لمقابلة مسيو جورناى مارتان فانبأنا الخادم أنه غائب عن الدار وذكر لناأن ابنته موجودة فلم نر أن نحرم انفسنامن شرف لقائها

واستوى الرجل عند هذا جالسا على أحد المقاعدوتابعه ابنه فى ذلك

وتبادلت سونيا وجرمين النظرات فى شىء من الحيرة .

ودار الشاب بعينيه فى ارجاء المكان ثم قال يخاطب أباه:

— إنه قصر بديع ياابتاه . .

فقال مسيو كاروليه :

— نعم . . إنه قصر بديع يابنى . .

وساد الصمت برهة ثم نظر الكهل الى الفتاتين وقال :

— نعم . . إنه فى الواقع قصر بديع ياسيدتى . .

وعقد مسيو كاروليه ذراعيه على صدره وقال :

— لقد حضرنا حين قرأنا فى صحيفة الاعلانات أن مسيو جورناى يعرض سيارته للبيع . وان ابنى لشديد الرغبة فى أن يبتاع سيارة تتسلق الجبال أعنى قوتها ستون حصانا .

فقالت جرمين :

— ان لدى ابى سيارة قوتها ستون حصانا ولكنها ليست معروضة للبيع .! بل لقد استقلها أبى اليوم .

فقال مسيو كاروليه : ربما كان اذن يريد أن يبيع السيارة التى لمحناها الآن عند باب الجراج .

— هذه قوتها أربعون حصانا وهى خاصة بى . ولكن إذا كان ابنك حقامولعاً بتسلق الجبال فى السيارات فان لدينا سيارة قوتها مائة حصان وأعلم ان أبى يريدأن يبيعها .. سونيا .. أين صورة هذه السيارة .! لابد انها فى هذا المكتب .

واغتنم كاروليه الصغير غفلة من الفتاتين فامتدت يده على عجل واختطف التمثال الفضى الموضوع على المنضدة ودسه فى جيبه .

وهمس ابوه فى صوت غاضب :

— رده مكانه أيها الأحمق .؟ رده مكانه .!

وبنفس السرعة التى اختطف بها الشاب التمثال أعاده إلى موضعه .

وبدت علامات الارتياح على وجه الأب إذ لم تفطن الفتاتان إلى ماوقع .

وأقبلت جرمين بعد لحظات تحمل الصورة الفوتوغرافية فتناولها منها كاروليه ووضع على عينيه نظارة من طراز قديم وقال :

— حسناً .. حسنا .. سيارة قوتها مائة حصان .! لابأس اذن بأن أبتاعها .. ماهو أقل ثمن تقبلون فيها ؟

فهزت جرمين رأسها وقالت :

— هذا مالاشأن لى به وانما ينبغى أن تقابل أبى ولا أحسبه يتأخر كثيراً فى عودته من دين .

وهب مسيو كاروليه واقفاً وهو يقول : حسنا . . . سننصرف الآن ولكنا لانلبث أن نعود . . . وانى لآسف ياسيدتى على أن أزعجتك واختلست وقتك النفيس .

فغمغمت جرمين تقول : اوه .. كلا .. العفو .. العفو . .

— إلى اللقاء إذن .. !

ومشى إلى الباب وفى أثره ابنه الشاب .

وقالت جرمين بعد أن أوصد الباب خلف الزائرين :

— يالهما من مخلوقين عجيبين ..!

ثم هزت كتفيها فى غير اكتراث وقالت :

— ولـكن حسب أبي منهما أنهما سيبتاعان السيارة وهو جد حريص على التخلص منها .

ثم ذكرت اللوح الزجاجى وقالت .

— ولـكن هذا اللوح الزجاجى ..! إن الأمر لغريب حقاً :. ومن الغريب أيضا أن جاك لم يعد حتى الآن وقد وعدنى بالحضور فيما بين منتصف الخامسة .

وارتمت جرمين على أحد المقاعد وقد استغرقتها بعض الخواطر ولـكنها مالبثت أن هبت واقفة وهى تقول :

— لقد تأخر جاك ..! لقد جاوزت الساعة الخامسة بعشر دقائق !

ومشت إلى النافذة وراحت تطل على الطريق العام .

وقالت سونيا :

— ربما ذهب الدوق إلى قصر ريلزيير لزيارة ابن عمه . وان كان يلوح لى أن العلاقات بينهما ليست على مايرام ... بل انني ليخيل الى انهما يمقت بعضهما بعضاً .

فقالت جرمين :

— ألاحظت ذلك حقاً ..! الحق ان جاك قليل المبالاة بالناس وانه ليدأب على اثارتهم والمشاحنة معهم . ولقد سمعته عند زيارتنا لآل ريلزيير فى يوم الخميس الماضى وهو يتشاحن مع بول

فقالت سونيا فى شىء من القلق :

— يتشاحن مع بول ريلزيير . . ؟

— نعم وعند انصرافنا لم يتبادلا التحية .

فبدا الخوف على وجه سونيا وقالت :

— ياإلهى . . ! أتـكون . . ! أتـكون . . !

وكفت عن الكلام واقتضبت جملتها فقالت جرمين :

— ماذا . . ؟ تـكلمى . . !

— المبارزة . : مبارزة مسيو ريلزيير . .!

ماذا تقولين . . ؟أتظنين أن هذه المبارزة ستجرى مع جاك . . ؟

— لست أدرى . . ولـكن هذا هو مايجرى بخاطرى . . !المشاحنة التى جرت بينهما . . ! وخروج مسيو دى بوى وأخيه . .

فقالت جرمين : هذا محتمل . . ! طبعا . : ! بل هذا مؤكد . . نعم انه مؤكد .

فهتفت سونيا فى جزع: هذا فظيع .! هذا رهيب ..! تصورى ..! تصورى أن يصاب الدوق بشىء . . !

فهتفت جرمين فى زهو وفخار :

— إن الدوق إنما يبارز لأجلى . . !

وغمر وجهها شعور من الابتهاج .

اما سونيا فحملقت فيها فى ذهول :

لئن بارز الدوق من أجلها لكان هذا مطمعا يحقق كبرياءها وتزهو به عجرفتها .
وغمغمت سونيا تقول :
— لا تنسى انه يبارز الآن رجلا من أبرع حملة السيف فى فرنسا ..! وهذا ماشهدت أنت به نفسك .
ومشت المسكينة إلى النافذة تطل منها وقد استولى عليها الخوف .. كانت تخشى أن يصاب الدوق بسوء .
أما خطيبته فلم تكن تبالى بالأمر وكان حسبها ارضاء لكبريائها أن الدوق انما يبارز من أجلها .
وهتفت سونيا تقول : مدموازيل جرمين ..! انظرى .. ! انظرى . . !
وأسرعت إليها جرمين وهى تقول : ماذا ؟
— فارس على ظهر جواد ينهب الأرض صوب القصر ..! أوه .. انه الدوق ..! انه الدوق .. !
فقالت جرمين فى شىء من الشك : أتظنين هذا ؟
— اننى موقنة من أنه الدوق ...
ولم تبتهج جرمين لأن الدوق رجع إليها سالماً وإنما كان جوابها :
— لقد جاء فى الموعد المحدد . . ! انه يعلم اننى أمقت أن أنتظر أحداً . .! لقد وعدنى بأن يحضر فى الساعة الخامسة على الأكثر ... وهاهوذا يبر بوعده ...

الفصل الثالث

حين رأت سونيا الدوق كارميراس مقبلا طغى عليها شعور جارف من الفرح فلم تقو على مغالبة دموعها فرجعت إلى مائدة الشاى وأشاحت بوجهها قليلا حتى لا ترى جرمين عبراتها
وصعد الدوق إلى القاعة من الباب المفضى إلى الحديقة وقال فى صوت مرح طروب .
— اننى أريد قدحا من الشاى وقليلا من الكريمة وثلاث قطع من السكر . .!
ونظر فى الساعة ثم أردف يقول: حسناً ..! لقد وصلت فى الموعد ..! الساعة الآن الخامسة تماماً ..!
وانحنى أمام جرمين وتناول يدها فقبلها على أسلوب تمثيلى ثم سحب مقعداً واستوى جالساً فوقه .
وقالت جرمين تسائله :
— أكنت اليوم فى مبارزة..؟
فقال الدوق فى شىء من الدهش :
— عجيب أن ينتهى اليك النبأ بمثل هذه السرعة .!
— وما سبب المبارزة ..!
ولكن قبل أن يجيب انبرت سونيا تقول فى اهتمام
— أرجو ألا تكون فخامتكم قد اصبتم بجرح.؟
فابتسم الدوق فى وجهها وقال :
— لم أصب حتى بخدش ..!
فقالت جرمين فى صوت غاضب :
— سونيا.. أرجوك أن تهتمى بانجاز هذه البطاقات
فرجعت الفتاة إلى طاولة الكتابة .
وتحولت جرمين إلى الدوق وقالت :

— أكنت تبارز بسببى .؟

فأبرقت عيناه بوميض ساخر وقال :

— وهل يسرك أن تعلمى اننى بارزت بسببك .؟

— نعم .. ولكن هذا غير صحيح .! لقد كنت تبارز بسبب امرأة .؟

— اذا كنت قد بارزت بسبب امرأة فلن تكون هذه المرأة إلا أنت دون سواك .!

— نعم .. هذا معقول .! طبعاً .! فليس محتملا انك بارزت لأجل سونيا مثلا أو لأجل دنتى .! ولكن ماهو سبب المبارزة ؟

— أوه .. سبب تافه .! لقد كنت ضيق الصدر وقد قال دى ريلزيير ما أغاظنى .!

— اذن فلم تكن المبارزة لأجلى .! ومادامت ليست لأجلى فهى مبارزة سخيفة لاضرورة لها .!

وبدت خيبة الرجاء فى وجه جرمين وومضت عينا الدوق بهذا البريق المتهكم وقال :

— نعم .! ولكن لو انني قتلت لقال الناس جميعاً . لقدقتل الدوق كارميراس فى مبارزة لأجل المادموازيل جرمين جورناى مارتان .! وهذ بلا ريب نبأ سار . !

وسرت السخرية من ومضات عينيه الى نبرات صوته .

فقالت جرمين فى دلال :

— إياك أن تحاول اغاظتى . !

— هذا آخر مايخطر ببالى أيتها العزيزة

— وهل جرح دى ريلزيير ؟

فضحك الدوق وقال .

— مسكين دى ريلزيير .! أكبرظنى انه سيلزم فراشه لايبرحه ستة شهور

فهتفت جرمين قائلة :

— يا إلهى . . ! !

وكانت جرمين موليـة ظهرها نحو سونيا فجعلت هذه فى خلال هذا الحديث تختلس النظر الى الدوق وترى كيف يبدو الانفعال فى وجهه عند كل كلمة يجرى بها لسانه أو كل عاطفة يجيش بها صدره . وكانت إذا التقت عيناها بعينى الدوق غضت من بصرها فى ارتباك .

ولما فرغ الدوق من تناول الشاى أخرج من جيبه علبة من الجلد وهو يقول :

— لقد مضت أيام ثلاث لم أهدك فى خلالها شيئاً !

وكشف غطاء العلبة فأسفر عن قلادة من اللآلئ لها بريق خاطف فهتفت جرمين :

— أوه .. ما أجملها .!

وتناولتها من العلبة وأرتها لسونيا ثم مضت إلى المرآة تطالع فيها صورتها وقد زانت جيدها بالقلادة .

وألقى الدوق نظرة على بطاقات الدعوة وقال :

— يا إلهى .! أكل هذه دعوات إلى حضور حفلة العرس .

فأجابت جرمين فى خيلاء :

— ومع هذا فلم نبلغ بعد الاحرف الفاء .!

— يا إلهى .! يلوح لى انك قد وجهت الدعوة إلى العالم بأسره .

فابتسمت جرمين وقالت :

— ستكون زيجة لاتنسى .! وانى لموقنة انه ستقع مصادمات بين السيارات أوعلى الأقل سيغمى على بعض الحاضرين لفرط الزحام .

فقال الدوق : يحسن بك اذن أن تتخذى الحيطة حتى لايقع شىء من هذا القبيل .

فهزت جرمين كتفيها بلا اكتراث وقالت :

— ان وقوع بعض الحوادث لايزعجنى بأية حال فانها كفيلة بأن تجعل للحفلة ذكرى لايمحوها مر الأيام.؟

والتمعت عينا الدوق وكادت نظرته تنم على العجب أو الاحتقار ولكنه هز كتفيه وأشاح بوجهه وتحول الى سونيا يقول : مادموازيل كريتشنوف ..! هلا عزفت لى على البيانو قطعة من جريج ..! لقد سمعتك بالأمس تعزفين وفى وسعى انى أشهد دون تردد انك خير من يعزف موسيقى جريج

ولكن جرمين بادرته بقولها : عفواً ياجاك ولكن لدى مادموازيل كريتشنوف عمل ينبغى أن تنجزه .

— إن فترة قصيرة من الراحة كفيلة بأن تجدد نشاطها ... هيا يامادموازيل كريتشنوف ... أرجوك .

ولكن جرمين عادت تقول فى غيظ مكتوم :

— ولكن لدى حديثاً هاما أحب أن أفضى به اليك ياجاك

فقال الدوق باسما : اوه .. ! لقد أذكرتينى بما كدت أنسى .. ! ان لدى أنا أيضاً شيئاً هاماً أحب أن أفضى به اليك .. ! هاهوذا .. !

وأخرج من جيبه صورة فوتوغرافية وهو يقول :

— انها تلك الصورة التى التقطت لك وللمادموازيل سونيا

فقالت جرمين فى غيظ :

—أوتسمى هذا شيئاً هاما.!

فضحك الدوق وقال :

— انه هام كسائر السخافات ..! انظرى .. الا ما أجمل هذه الصورة .. !

— ما أجملها .. ! انها فظيعة .. ! انها مخيفة ..! ما أقبح وجهى فى هذه الصورة .. !

فابتسم الدوق وقال :

— ان وجهك لايمكن أن يكون قبيحاً ... لتكن المادموازيل سونيا هى الحكم .. !

ولكن جرمين قاطعته فى صوت صارم :

— جاك .. !!

— أوه . ! حقاً .. ان لديك حديثاً هاماً .. فما هو ياترى .. ؟؟

وتناول الصورة من سونيا فى شىء من اليأس :

— لقد تحدثت الى فيكتوار من باريس وأنبأتنى أن بعض الأصدقاء قد أهدوا إلينا مدية للورق ومحبرة .

فصاح الدوق بملء صوته هاتفاً :

— أوه .. ! ما أبدع هذا . !

— وكذلك قلادة من اللآلىء .

فعاد الدوق يهتف :

— أوه . اما أبدع هذا . !

فقالت جرمين وقد زوت مابين حاجبيها :

— انك مازلت طفلا نزقاً .! أتهتف لمدية الورق نفس هتافك للقلادة ٠ ! لعمرى انك لاتعرف قيم الهدايا

فقال الدوق متسائلا :

— أليست القلادة من أصدقاء أبيك .؟

— نعم .

— والمدية ٠ ؟ انها من أصدقائى ٠ ؟ أليس كذلك . ؟

— هو ذاك .

فقال الدوق فى لهجة ذات معنى :

— لقد توقعت هذا حين رأيت اهتمامك بالقلادة واعجابك بها . !

فقالت جرمين فى غضب :

جاك ٠ ! انك لا تحفل بى

— كيف هذا ٠ ؟ ؟ انني أراك فاتنة الجمال ٠

فأولته ظهرها ومضت إلى النافذة غاضبة

وجعل الدوق يروح ويغدو فى أرجاء القاعة وهو يجيل عينيه فى الصور المعلقة على الجدار ثم قال بغتة :

— عجباً . ! لماذا انتزعتم صورتى الجميلة من وسط صور أجدادى وأسلافى ٠ ؟

فاستدارت اليه جرمين ورفعت سونيا أنظارها اليه وقال الدوق مستطرداً .

— نعم .. فاننى أذكر أن صورتى كانت معلقة على الجدار فى موضع هذه السجادة

فقالت جرمين :

— ولكننا أنبأناك بالأمر منذ ثلاث سنوات ..! ألم تصلك الصحف التى بعثنا بها اليك . ؟

— منذ ثلاث سنوات كنت على مقربة من القطب الجنوبى وكان البريد لا يصل الى .

فقالت جرمين :

— لقد تحدثت صحف باريس عن هذا الأمر طويلا .. لقد سرقت صورتك :

— سرقت .! من الذى سرقها .. ؟

— سأريك

ومشت جرمين الى السجادة المعلقة على الجدار فى موضع الصورة المسروقة فأزاحتها قليلا فانكشفت عن كلمات مخطوطة على الجدار بالطباشير فقرأها الدوق فى صوت مرتفع قائلا :

— ارسين لوبين .. !

فقالت سونيا :

— انه السارق .. ومن دأبه أن يخلف امضاءه حيث يسرق .

— ولكن من يكون ارسين لوبين هذا .؟

فقالت جرمين وقد نفد صبرها :

— أهناك من يجهل هذا الاسم .. ! ؟

— السبب اننى كنت منقطعاً فى العالم فى القطب الجنوبى .

فقالت جرمين فى حماسة :

— ارسين لوبين هو بلا نزاع أظرف وأشرف وأجرأ لص فى فرنسا .!! فى خلال الأعوام العشرة الماضية حير أبرع شرطة العالم السريين . ! لقد قهر جانيمارد أقدر شرطى سرى فى فرنسا كما قهر شرلوك هولمز أبرع رجال انجلترا السريين كما قهر جوشارد كبير مفتشى البوليس السرى فى باريس ! !

هذا هو ارسين لوبين . . ! فهل لازلت تجهل من يكون. .؟

فقال الدوق متسائلا : ولكن . . هل هو شاب أم كهل وهل . ؟

فقاطعته جرمين بقولها :

— هذا مالا علم لأحد به . . ! ان له فى التنكر آلافا من الأساليب . . ! فقد تناول العشاء ليلتين متواليتين فى السفارة الانجليزية دون أن يكشف أحد أمره . . !

فقال الدوق فى دهشة : اذن فكيف عرف الناس أنه تناول العشاء مرتين فى السفارة .

— لأنهم فى الليلة الثانية شعروا أن أحد المدعوين قد اختفى واختفت معه جميع جواهر المفوضية . . ؟

— جميع جواهر المفوضية . . ؟

— نعم . . وقد ترك أرسين لوبين بطاقته وعليها هذه الكلمات : « هذه ليست سرقة وانما هى تعويض عن مجموعة والماس التى استوليتم عليها معشر الانجليز »

فقال الدوق باسما :

— إنه لص وطنى إذن . . لقد انتقم لفرنسا من الانجليز

فقالت سونيا وقد أبرقت عيناها :

— وهو أيضا لص شريف . هل تذكر حكاية بنك داراى بنك التوفير للفقراء . !؟

فقال الدوق:

— دعينى أتذكر . . داراى . . أليس هو ذلك المالى الذى أنشأ مشروعا لاستغلال أموال الفقراء . وكان المشروع وهميا مكن الرجل من الاستيلاء على هذه الأموال ومضاعفة ثروته بعد أن خرب مئات من الأسرات الفقيرة. ؟

فقالت سونيا مجيبة :

— هو ذاك . . لقد اقتحم لوبين بيت داراى واستولى على مافى خزانته من مال وجواهر ثم وزعها على اولئك الفقراء الذين سلبهم داراى أموالهم من قبل . .

فقال الدوق

— إنه ليس لصا اذن . . إنه لص شريف . إنه محسن عظيم .

فقالت جرمين فى ازدراء :

— وهل كان شريفا أو محسنا حين سرق مايقتنى أبى من صور نفيسة؟

فقال الدوق فى دهش :

— ولكن عهدى بأبيك أنه شديد الحرص على صوره فكيف استطاع لوبين أن يسرقها . ؟

— ان حرص أبى هو الذى مكن لوبين من إتمام سرقته . !

— لاريب ان له بالمنزل شركاء . !

— وهل تدرى من كان شريكه . ! انه ابى دون سواه .!

فقال الدوق دهشا :

— ابوك .! وكيف هذا .؟ حدثينى بما وقع .!

فقالت جرمين :

فى ذات صباح تلقى أبى رسالة جاء فيها .. ولكن انتظر .. سونيا .. هاتى رسالة لوبين من درج المكتبة .

وتناولت سونيا رسالة من أحد الادراج قذفتها الى الدوق فتأمل غلافها وقال :

— ان خطها عجيب .! وله شكل خاص .

ونشر الرسالة وتلاها فى صوت عال

« سيدى العزيز .

« أسألك صفحاً عن انفاذى اليك هذه الرسالة وما تعرف أحدنا الى الآخر رسمياً . ولكننى أستطيع أن أفخر بأنك تعرفنى بالاسم على الأقل .

« إن فى قاعة الاستقبال المجاورة للبهو فى قصرك صورة من ريشة جونسبرج لها فى نفسى مكانة عظيمة . وفى نفس القائمة صور رائعة لجويا ولفان دايك .. وفى البهو — أعنى على جدرانه — سجاجيد أثرية عليها رسومات فنية غاية فى الدقة . على أن الشىء الجدير بالاعجاب حقاً هو ذلك التاج الذى ظفرت به فى المزاد الذى عقد فى قصر المركيز فيروناى . وهو التاج الذى كانت تقتنيه من قبل الأميرة دى لامبال .

« هذا التاج يعجبنى جداً لأن تاريخه يقترن بمأساة مفجعة فضلا عن ان الجواهر التى رصع بها تبلغ قيمتها نصف مليون فرنك على أقل تقدير .

« فهلا تفضلت ياسيدى بأن تحزم هذ الاشياء وترسلها طردا باسمى إلى محطة باتينيول فأكون شاكراً لك هذه المنة .! أما إن أبيت أن تهديها إلى فسأزور القصر فى ليلة الخميس الموافق ٧ أغسطس وأنتزعها بيدى .

« وأرجوك أخيراً أن تصفح عنى اذا كنت أزعجتك وتيقن ياسيدى اننى لك نعم المخلص

« ارسين لوبين »

« حاشية :

يخيل الى أن الصور غير مغطاة بالزجاج فارجوك قبل ارسالها الى أن تأمر بتركيب زجاج للاطارات واليك اجزل شكرى — ا . ل . »

فلما انتهى الدوق من تلاوة هذه الرسالة أغرق فى الضحك وقال :

— حقا .. انه لص ظريف . ! لاريب أن هذه الرسالة أضحكت أباك طويلا . ؟

— أضحكته .!! انه يعرف أن لوبين لايهزل . !

— أمعنى ذلك انه أهداه هذه الأشياء . ؟

— بالطبع كلا ، ولكن الرسالة أهاجت ثائرته ، وأشاعت القلق فى نفسه ، ولما كان لايجهل أن لوبين حير رجال الشرطة ، فقد رأى أن يضع بنفسه خطة يحافظ بها على هذه التحف النفيسة ، فمضى من فوره إلى صديق له من ضباط الجيش وقص عليه الأمر فوعده هذا بأن ينفذ إليه سبعة من الجنود يحرسون القصر فى الليلة التى ضربها لوبين موعداً لاقتحام المغارة ، وحضرت الجنود وعلى رأسهم أحد الصولات ، فأقاموا على حراسة القاعة التى بها التحف حتى الصباح . !

وسكتت جرمين فقال الدوق :

— وبعد . ؟ هل عجز لوبين عن تنفيذ وعيده . ؟

— لم يعجز ٠ ! بل سرق الصور والسجاجيد والساعة الأثرية وسواها ٠ !
— والتاج ٠ ؟ هل ظفر به ؟
— كلا . . لأنه كان مودعاً فى خزائن بنك فرنسا ، ولهذا استولى على صورتك على سبيل التعويض فى الغالب انه على الأقل لم يذكر فى خطابه انه ينوى أن يسرق صورتك .
— ولكن كيف تمت السرقة والجنود يحرسون المكان . ؟ ؟ هل فتك بهم ؟
— لم يفتك بهم . ! فقد كان الصول هو لوبين نفسه . أما الجنود فأعوانه متنكرون . !
فقال الدوق فى دهش : هذا عجيب .. ! أكان ضابط الجيش صديق أبيك من أعوان لوبين . ؟
— كلا ، ولكن التحقيق قد أثبت أن الجنود مروا فى قدومهم بأحدى الحانات ليتناولوا شيئاً من الخمر ، وهناك التقى بهم رجل ما ودعاهم الى مائدته وقدم إليهم الخمر على حسابه الخاص ، وبعد هذا دعاهم الى ركوب سيارته لكى ينقلهم الى القصر ، ٠ يلوح لى انه دس مخدراً فى الخمر لأن الأهالى عثروا على الجنود فى صباح اليوم التالى وهم ملقون فى الغابة ، وقد كممت أفواههم ونزعت عنهم ثيابهم الرسمية . ! وهكذا ارتدى لوبين وأعوانه هذه الثياب وحضروا الى القصر زاعمين أنهم هم الجنود الموفدون للحراسة . !
فقال الدوق !
— إنه بطل عظيم . !
— ولقد استدعى أبى جوشارد ليتولى هذه القضية لأن بينه وبين لوبين عداوة مستعرة . ولكنه لم يوفق فى بحثه .
وساد الصمت برهة ثم قالت جرمين :
— انى لا أستبعد أن يكون الآن لوبين على كثب من القصر .
— ماذا تقولين ؟
— لقد وقعت أشياء غريبة اليوم . هذا التمثال الفضى نقل من موضعه . دون أن يمسه أحدنا . وهذا اللوح الزجاجى قد كسر ومن الغريب أن اللوح المكسور يقع فوق المزلاج مباشرة . ! ألا يسبب هذا الريب والشكوك .. ؟

الفصل الرابع

حين سمع الدوق ماقالته جرمين دنا من النافذة يتأمل اللوح الزجاجى المكسور ثم قال :
— ان الأمر يبدو أخطر مما تتصورين . ! هذا اللوح لم يكسر وإلا سقطت بقاياه فى الحديقة ولكنه انتزع انتزاعا . ينبغى أن نخطر أباك بالأمر حتى يعنى بتحفه النفيسة .
— أصدقتني إذن فيما ذهبت اليه من أن أرسين لوبين على كثب من هذا القصر .؟
فقال الدوق باسماً .
— لست أنكر على لوبين براعته . ولكنه ليس اللص الوحيد الموجود فى فرنسا .
وفى تلك اللحظة فتح باب القاعة ودخل حارس الصيد وقال مخاطبا جرمين :
— بالباب زائران يطلبان مقابلتك ياسيدتى . !
فقالت جرمين :
— ماذا .! هل عهد اليك بالباب يافيرمان . ؟

— نعم ياسيدتى فقد مضى الخدم الى المحطة ومابقى فى القصر أحد سواى وسوى زوجتى .

— وما اسم هذين الزائرين . ؟

فأجاب فيرمان فى بساطة .

— ان ذاكرتى أضعف من أن تذكر الاسماء

فابتسم الدوق وقال ساخراً :

— هذه مزية كبيرة فيمن يوكل اليه مقابلة الزائرين

فقالت جرمين .

— لا أظنهما كاروليه وابنه فقد أنبأتهما أن أبى لن يعود قبل انقضاء ساعة على الأقل . . دعهما يدخلا اذن

وقال الدوق وقد انصرف فيرمان : كاروليه . ؟ انني ماسمعت بهذا الاسم من قبل .!

— منذ فترة وجيزة ادخل الفريد زائرين فاذا بهما ريفيان عجيبان وقد ظننت أن . .

ولكنها اقتضبت جملتها حين فتح الباب .

وكان الداخل هو بعينه كاروليه الأب وخلفه شاب آخر عدا ابنه الذى حضر معه فى المرة الأولى .

وقال الأب :

— هذا هو ابنى الثاني .. انه يعمل فى صيدلية .

فقالت جرمين :

— يؤسفنى أن أبى لم يحضر بعد .

فقال كاروليه باسما :

— لاضرورة للاعتذار ياسيدتى .

وسحب مقعداً واستوى عليه جالساً وحذا ولداه حذوه

وظلت جرمين جالسة ثم قالت :

-- اننى أخشى أن يتأخر أبى كثيراً ولا أحب أن تضيعا وقتكما فى الانتظار .

فهز كاروليه رأسه وقال متجاهلا ايحاءها بالانصراف : اننى لا أبالى بالانتظار فليس ورائى مايشغلني .

ثم التفت إلى الدوق وقال: أخبرنى ياسيدى .. ماهو أقل مبلغ يمكن أن يرضى به مسيو مارتان ثمنا للسيارة؟

فقال الدوق مجيباً : الواقع انه لا علم لى بما تسألنى عنه .

وفى تلك اللحظة فتح الباب وبرز فيرمان حارس الصيد على عتبته وهو يقول : تفضل ياسيدى بالدخول .

ودخل إلى القاعة شاب ثالث فقال مسيو كاروليه مخاطبا القادم :

— برنارد .! لماذا حضرت .؟ لقد طلبت اليك أن تبقى فى الحديقة .؟

فقال برنارد مجيباً :

— لقد أردت أن أرى السيارة .

وتحول مسيو كاروليه إلى جرمين وقال :

— هذا هو ابنى الثالث وهو يدرس المحاماة .

فقالت جرمين فى صوت خافت :

— ليت شعرى كم لك من الابناء .؟

وقبل أن يجيب دخل فيرمان وأنبأ الحاضرين أن سيده قد رجع من الخارج :

فغمغمت جرمين تقول :
— حمداً لله .! والآن تفضلوا معى أيها السادة لأذهب بكم إلى أبى .
ومشت إلى الباب وفى أثرها مسيو كاروليه وابناؤه الثلاثة . ولكن برنارد تخلف عنهم قليلاً وراح يتأمل ما فى البهو من مكاتب فنية و لوحات نفيسة و سجاجيد أثرية .
ودنا برنارد من أحد المكاتب ومد يده فى خفة و براعة واختطف شيئين من فوق المكتب دسهما فى جيبه .
وانبعث الدوق واقفاً ولحق به وأمسك بذراعه ثم أغلق باب البهو وقال يخاطب الشاب :
— لا تفعل هذا يا صديقى .!
فقال الشاب متجاهلا :
— لا أفعل ماذا .؟
فابتسم الدوق وقال :
— لقد رأيتك وأنت تأخذ علبة سجائر فضية من فوق المكتب .
فقال الشاب فى إصرار :
— اننى ما أخذت شيئاً .
فدس الدوق يده فى جيب الشاب وأخرج علبة السجائر فشحب وجه المسكين وقال متلعثما :
— انها . . انها غلطة . . !
ومد الدوق يده في الجيب الآخر واخرج العلبة الجلدية التى بها قلادة اللآلئ التى أهداها الى جرمين وقال باسما :
— وهذه غلطة أخرى . . ؟
فصاحت سونيا فى جزع :
— يا إلهى . . قلادة اللآلئ . . !
وجثا الشاب على ركبتيه وقال فى ضراعة :
— اصفح عني . . ! اصفح عنى . . ! انني أتوسل إليك أن تكتم الأمر عن أبى . . !
وفاضت عيناه بالعبرات . . فقال الدوق :
— انك لص . . !
— رحمة بى . . ! اقسم أننى لن أعود إلى هذه الفعلة . رحمة بي .!
وبدا التردد على وجه الدوق ثم خلى عن ذراع الشاب وقال :
— حسناً . . ! سأطلق سراحك على أن تكون هذه هى المرة الأخيرة .! هيا أغرب من أمام وجهى .!
وانطلق الشاب مسرعاً وهو يقول :
— شكراً لك . ! شكراً لك . !
وأوصد الدوق الباب وقال يخاطب سونيا :
— ان مصير هذا الشاب الى السجن حتما . ! ياللجرأة . ! أيسرق بين سمعنا وبصرنا . ! كان ينبغى أن أسلمه الى البوليس .
فقالت سونيا على عجل :
— بل لقد أحسنت صنعاً باخلاء سبيله .
ووضع الدوق علبة القلادة على المكتب ودنا من سونيا وهو يقول :

— ماذا بك .؟ إنى أراك شاحبة الوجه .؟
— لقد أثر هذا الحادث فى نفسى .! مسكين هذا الشاب .!
وترقرقت العبرات فى عينيها .
— أترثين له إذن .؟
— انه جدير بالرثاء . ! لقد كانت نظراته حزينة وكان الذعر جلياً فى وجهه.
فقال الدوق فى صوت رقيق : انك فتاة رقيقة الاحساس.!
فقالت سونيا ،
— قد يكون ذلك سخافة منى .! ولكن .. ولكن أرأيت عينيه المتوسلتين .؟ لقد أشفقت عليه أنت نفسك .؟ انك فى صميم قلبك عطوف رقيق ...
— ولماذا فى صميم قلبى .؟
— لأنك دائما تحاول أن تبدو ساخراً متهكما أو بليد الاحساس جامده .! ولكننى أعرف أن هذا قناع مزيف يتوارى خلفه خلق أولئك الذين تعذبوا وقاسوا أكثر من سواهم .
وتفرس فيها الدوق برهة ثم قال :
— سونيا . إنك لست سعيدة فى هذه الدار ؟
فقالت على عجل :
— أنا . ؟ ولماذا . ؟
فقال الدوق فى صوت هادئ :
— إن ابتسامتك حزينة ونظراتك شقية . أأنت وحيدة فى هذا العالم .
وكان صوته ينم على العطف ونظراته حافلة بالشفقة .
فتخضبت وجناة الفتاة وأجابت :
— نعم . إنني وحيدة فى هذا العالم
— أليست لك أقارب. أو أصدقاء ؟
— كلا
— لست أعنى هنا فى فرنسا وإنما أقصد فى بلادك فى روسيا .
فارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة وقالت :
— كلا ليست لى اصدقاء أو أقارب حتى فى وطنى ولست أحفل بهذا أو أبالى به ولكن فى بعض الأحيان . . أوه انني أخشى أن تسخر منى .
فقال الدوق فى صوت هادئ :
— حاشاى أن أفعل هذا .
— فى بعض الأحيان أتلهف إلى أن تصلنى رسالة من أى شخص يهتم بى أو يعطف على ولطالما شق على أن ليس لى صديق يكتب إلى .
وساد الصمت برهة ثم هزت الفتاة كتفيها فى غير اكتراث وقالت :
— ولكننى لا أفتأ احدث نفسى بان هذه الخواطر سخيفة ولا معنى لها . . إننى ألتمس العزاء فى مثل هذه الفلسفة .

— وفى الفلسفة تجد النفوس الكليمة عزاءها .

وفى تلك اللحظة دفع الباب ودخلت جرمين وصاحت بسونيا فى غضب :

— سونيا .. انك أصبحت لاتطاقين . ! لقد عهدت إليك أن تودعى حقيبتى مافى درج المكتب من خطابات ولكنك نسيت أن تفعلى هذا . !

فقالت سونيا معتذرة :

ـ اننى آسفة .! ولكننى كنت أنوى أن ..

فقاطعتها بقولها :

— لاضرورة للاعتذار . ! إنك لاتكادين تؤدين عملا فى هذه الدار كأنما تحسبين نفسك ضيفة علينا .! إن اهمالك لايحتمل .! إنك الاهمال مجسد . . !

فقال الدوق محاولا أن يهدىء من ثائرتها :

— هيا .. هيا .. ياجرمين .! ان السهو مغتفر و . .

ولكن جرمين صاحت فى غضب :

— جاك .! انها عادة سيئة منك أن تتداخل فى شئون الدر . ! لقد فعلت هذا بالأمس كأنما تريد أن تحرم على أن أوجه اللوم إلى إحدى خدمى . !

فقال الدوق فى لهجة تنطوى على اللوم : جرمين . .!

وتحولت جرمين إلى سونيا وقالت : إحملى هذه الرسائل والأدوات إلى غرفتى .. وعجلى .!

ثم غادرت الغرفة بعد أن صفقت الباب خلفها فى عنف .

وانحنت سونيا لتلتقط الرسائل التى قذفتها جرمين على الأرض وهى فى قوة غضبها . ولكن الدوق أسرع اليها يقول : تنحى أنت ودعينى أجمعها بدلا عنك .

ولما جمع الرسائل ووضعها على المكتب قال .

— لاتحفلى بما تقول جرمين .! انها .. انها طيبة القلب وان كانت سريعة إلى الغضب . لقد دللها أبوها أكثر مما ينبغى فالفت أن ترى نفسها مطاعة . ! فلا تغضبك شدتها

— أوه .. كلا .. اننى لست غاضبة .

— يسرنى أن أسمع منك هذا .

وتفرس فيها الدوق برهة ثم تناول يدها وانحنى فوقها يقبلها فى احترام .

وتخضب وجه سونيا احمراراً وجمدت مكانها برهة ثم أسرعت إلى الباب تجرى فلما بلغته استدارت واختلست نظرة خاطفة إلى الدوق ثم مضت إلى شأنها على عجل .

الفصل الخامس

لبث الدوق مكانه برهة وهو يتابع بنظراته الباب الذى مرقت منه سونيا وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة . ثم عبر القاعة الى المكتب القائم فى أحد أركانها وتناول سيجاراً من صندوق الى جوار العلبة التى بها قلادة اللآلىء . وخرج الى الشرفة المطلة على الحديقة .

وراح يجيل أنظاره فى أرجاء الحديقة قليلا ثم هبط يتجول فيها حتى انتهى ان خميلة من أشجار الورد يتوسطها مقعد حجرى فاستوى جالساً فوقه وقد استغرق فى الخواطر والأحلام .

وبعد انقضاء فترة من الوقت اتخذ طريقه الى الشرفة ثانية فالتقى فى الحديقة بمسيو جورناى مارتان وهو يتحدث إلى كاروليه .

وسمع المليونير وهو يقول: كلا .. هذا أقل ثمن يمكن أن أرضى به . !

فقال مسيو كاروليه فى صوت ينطوى على القنوط : ولكنه ثمن باهظ ياسيدى . ؟

— باهظ . ! أيمكن أن تجد مخلوقا يرضى أن يبيعك سيارة قوتها مائة حصان بألف جنيه . ! أؤكد لك اننى مغبون ياسيدى .

فقال كاروليه فى صوت ضعيف !

— بل أنا المغبون ..

— وأنا أؤكد لك مرة أخرى أن الغبن إنما يقع على أنا .! سيارة جديدة فخمة ثمنها ألف وخمسمائة جنيه وتباع بألف . ! هل هناك من يصدق هذا . !

— ولكن .

غير أن المليونير قاطعه بقوله :

— دع الجدل الآن حتى تجربها .

— ولكن ألف جنيه مبلغ باهظ .!

— أوه . ! انك شديد العناد .! ولكن اصمت الآن حتى تنتهى من تجربتها وعند هذا تعدل عن عنادك

ونادى مسيو جورناى مارتان سائق سيارته قائلا :

— جان ! اذهب بهؤلاء السادة إلى الجراج ودعهم يجربوا السيارة .! أفهمت . ؟

ثم تحول الى مسيو كاروليه وقال : انك رجل أعمال بارع . ! لقد غلبتنى على أمرى . ! نعم ، وإلا لما بعتك السيارة بألف جنيه . ! والآن الى الملتقى ياسيدى .

ولما انصرف كاروليه وأبناؤه فى رفقة السائق جان قال المليونير مخاطباً الدوق كارميراس :

— لقد خدعته وسأرغمه على شراء السيارة .

فابتسم الدوق وقال :

— انك أبرع من عرفت من رجال الاعمال

فقال المليونير فى شىء من الزهو :

— إن السيارة قديمة ولا تساوى شيئاً ولكنني سأبيعها اليه بألف جنيه .!

وارتقيا درجات الشرفة ودخلا إلى البهو الذى يضيئه مصباحان . واستوى مسيو مارتان جالساً على مقعد عتيق أثرى من الطراز الامبراطورى . ثم قال :

— من العجيب ياعزيزى الدوق أنك لم تسألنى عن نتيجة مقابلتى للوزير وتناول الغداء معه اليوم . !

فقال الدوق فى غير اكتراث

— أهناك أنباء ذات شأن .؟

— بلا شك ، سيصدر غداً المرسوم بمنحك وسام اللجيون دونور فلك أن تعد نفسك رجلا سعيداً .

فقال الدوق بلا مبالاة :

— هذا بديع .! هذا بديع .!

فقال المليونير:

أما من ناحيتى أنا فانني سعيد .. سعيد جداً .! فالآن وقد ظفرت بالوسام ينبغى أن تطمح إلى ماهو أرفع منه .! فبعد رحلاتك إلى القطب الجنوبى وبعد أن نشرت رسائل جدك وصدرتها بمقدمة نفيسة . . بعد هذا يجب أن تلتحق بالاكاديمية .

فقال الدوق في استغراب :

— الاكاديمية .! ولكن ماهو اللقب العلمى الذى يخول لى الحق فى الانضمام اليها . !

— لقب الدوقية . ! ألا يكفيك هذا اللقب . !

- ولكن .

فقال المليونير مقاطعاً :

— اننى ياعزيزى الدوق أريد أن أزوج ابنتى رجل جد مولعا بالأعمال.. أريد أن يكون صهرى دوقا يحلى صدره بوسام اللجيون دونور وهو إلى هذا عضو فى الأكاديمية .

وافترت شفتا الدوق عن ابتسامة ضاحكة فقال المليونير :

— ماالذى يضحكك ؟

— لاشىء .. لاشىء . ولكنك فى الواقع رجل مدهش

— نعم .. اننى رجل مدهش .! اننى رجل أحب العمل وأحب الفنون والآداب .! انني كما ترى شغوف بالصور الفنية والأثاثات القديمة الأثرية .إننى أحب الجمال وأستطيع أن أفخر بأن لدى متحفاً خاصاً يضم من اللوحات الفنية أروع وأبدع ماجرت به ريشة المصورين .

— هذا أمر لاينكره أحد

— ومع هذا فانك لم تر أجمل قطعة فى تحفى . . وأعني تاج الأميرة دى لامبال . إنه يقدر بما لا يقل عن نصف مليون من الفرنكات

— لقد سمعت شيئاً من هذا القبيل فلا عجب إذا كان ارسين لوبين يمنى نفسه بسرقة هذا التاج

فصاح مسيو جورناى مارتان :

— لاتذكر أمامى اسم هذا الشيطان . !

— لقد أطلعتنى جرمين على الخطاب الذى أرسله اليك لوبين . والحق انه خطاب ظريف . !

— ظريف . ! انه شيطان .! لقد كدت أصاب بصدمة عصبية بسبب هذا الخطاب . لقد كنت جالساً فى هذا البهو نفسه حين جاء فيرمان وناولنى خطابا وما . .

ولكنه اقتضب جملته حين فتح الباب فى تلك اللحظة ودخل فيرمان يحمل خطابا لسيده

وتناول مسيو جورناى مارتان الخطاب وهو يقول : شكراً لك

ثم استطرد يتم قصته قائلا :

— نعم .. كنت جالساً فى هذا البهو حين حمل إلى فيرمان خطابا كتب اسمى عليه بخط غريب .. خط .. ولكنه سكت بغتة واتسعت حدقتاه وهو يحملق فى الخطاب الذى تناوله من فيرمان منذ لحظات .

وهتف يقول فى جزع :

— ياإلهى . !

فقال الدوق :

— ماذا جرى . !

فصاح المليونير فى اضطراب :

— الخط .! الخط .! هذا الخطاب .. انه مكتوب بنفس الخط .!

وتهالك المليونير فى المقعد الأثرى الذى كان جالساً فوقه . وصدرت عن المقعد طقطقة عالية ثم تداعت قوائمه فاذا بالمليونير يقع على الارض وقد تعالت ساقاه وذراعاه فى الهواء

وخف اليه الدوق يساعده على النهوض وهو لا يستطيع أن يغالب الضحكات التى انطلقت من فمه إذ كان منظر مسيو جورناى مارتان مضحكا .

وقال الدوق أخيراً وقد تمالك نفسه :

— مامعنى أن هذا الخطاب مكتوب بنفس الخط .

— نعم . نفس الخط .. وهو خط لايمكن أن أنساه .

وفض الغلاف ونشر الرسالة وقرأها فى صوت عال قائلا :

« سيدى العزيز .

« ان مجموعة الصور التى اقتنيتها والتى بدأت أجمعها منذ ثلاث سنوات مبتدئا ببعض مالديك من صور ماتزال ضئيلة الشأن . ولديك فى باريس مجموعة رائعة يسرنى أن أظفر بها ولذا سأزور قصرك فى باريس فى صباح اليوم التالى لكى أستولى عليها وأضمها إلى مجموعتى .

« أرسين لوبين »

فقال الدوق فى هدوء :

— إنه يمزح بلاريب

فقال المليونير :

— انتظر . . انتظر . فمازالت بالخطاب حاشية .

وقرأها في صوت مسموع :

« حاشية بما انك قد احتفظت ثلاث سنوات كاملة بتاج الأميرة دى لا مبال فسأغتنم هذه الفرصة لكى أظفر بهذا التاج أيضا — ا . ل . »

وزعق المليونير بملء صوته وقد فرغ من تلاوة الرسالة :

— الشيطان . اللص . المجرم . . أوه . . أوه . انى أختنق . . إنى أختنق .

وامتدت يده على عجل إلى ياقته تحاول أن توسع من خناقها وامتقع لونه وتهالك فى مقعده فصاح الدوق مناديا :

— فيرمان . . فيرمان . . قدح من الماء . . أسرع إن سيدك مريض .

وبادر إلى المليونير فحل رباط عنقه واختطف مروحة أثرية جمل يروح بها على وجهه . وصاح هذا .

— اخطر ادارة الأمن العام . . أخطر الشرطة :

وفتح باب البهو وأقبلت سونيا وجرمين مسرعتين وقد سمعت نداء الدوق .

وصاح هذا .

— أسرعى ياجرمين . . أين الأملاح المنعشة ؟

وعادت سونيا بعد لحظات تحمل زجاجة من الأملاح المنعشة تنشق منها المليونير بشدة فردت عليه أنفاسه المحتبسة .

ونظرت جرمين إلى أبيها وقالت فى جزع :
— ماذا جرى . ؟
فأجاب الدوق.
— انه خطاب من أرسين لوبين .
— أما أنبأتك انه لابد أن يكون على كثب من القصر . !
وصاح المليونير :
— فيرمان ..! هذا الخطاب ..! من أتى به ؟
— لقد وجدته زوجتى فى صندوق البريد عند الباب .
— أوه .. ياللكارثة .. ! ياللكارثة ! !
فقال الدوق :
— صبراً .! صبراً .! ان الأمر لايعدو أن يكون مزاحاً .
— مزاحاً .! مزاحاً .! أكان مزاحاً منذ ثلاث سنوات . ؟
فقال الدوق وهو يتأمل الخطاب .
— انه مؤرخ اليوم . ! ولوبين ينذرك بالاستيلاء على صورك فى صباح الغد . فاذا كان الأمر مزاحاً فلن نبالى به . أما إذا كان جداً ففى الوقت متسع لكى تمنع وقوع السرقة . هيا . فلنتصل بباريس تليفونياً على الفور .
فقالت سونيا :
— ان اليوم الأحد . والتليفون الخارجى لايعمل يوم الأحد فى مثل هذه الساعة
فامتقع وجه الرجل وصاح :
—أوه ! هذا صحيح . هذا صحيح . ليت شعرى ما العمل الآن !؟
فقالت جرمين :
— فلنبعث برقية اذن . !
فقالت سونيا :
— وهذا محال أيضا فان مكاتب التلغراف توصد أبوابها فى الساعة الثانية عشرة .
فصاح المليونير فى غضب :
— أوه .! يالها من حكومة ٠! يالها من حكومة ٠! ما الذى يدعو الى إيقاف أعمال الخدمة العامة فى يوم الأحد ٠!
ومضى يمسح جبينه الذى تصبب عرقاً ٠
فقال الدوق :
— ولكن ينبغى أن نجد حلا على أية حال ٠؟
— ولكن ليت شعرى ما يكون هذا الحل ٠!؟
وساد الصمت برهة ثم هتف الدوق كارميراس :
— لقد اهتديت إلى الحل ٠؟
فصاح به المليونير :

— تكلم . تكلم . ماهو هذا الحل ؟

فأخرج الدوق ساعته ونظر فيها وهو يقول :

— كم تبلغ الساعة الآن ؟

وأخرج المليونين ساعته أيضا ، وكذلك فعلت جرمين ، ولم يشأ فيرمان أن يكون دونهما اهتماماً بمعرفة الوقت فأخرج ساعته من جيبه ونظر فيها

وثارت مناقشة حادة بين الثلاثة — بين المليونير جرمين وفيرمان — حول أية ساعة منها أدق وأضبط . ! وكان كل منهم يحاول أن يدافع عن ساعته وينادى بأن الوقت الحقيقى هو مايذكره . !

وقال الدوق محاولا أن يهدىء من ثائرتهم :

— لاضرورة لهذا الخلاف . ! إذ لانزاع فى أن الساعة قد جاوزت السابعة بدقائق معدودات ، ففى وسعى إذن أن أصل باريس بواسطة السيارة فيما بين الثانية والثالثة بعد منتصف الليل فأخطر البوليس بالأمر ونقبض على اللصوص متلبسين بجريمتهم . !

فصاح المليونير فى اغتباط ظاهر :

— هذا بديع ! هذا بديع ! انك رجل عمل ياصديقى ! وسأصحبك إلى باريس إذ لايسعنى أن البث هنا وتحفى النفيسة معرضة للسرقة . . ولكن كيف ندع سونيا وجرمين هنا وقد يهاجم هذا الشيطان هذا القصر أيضاً ! لابد أن نذهب جميعاً إلى باريس . وما من شك فى أن السيارتين تتسعان لنا .

فقالت جرمين فى صلف :

— ولكننا سنصل إلى باريس قبل الخدم ياأبتاه فكيف ندبر شأننا والخدم غائبون !

فصاح أبوها :

— اننى أضحى بهذه المظاهر الجوفاء ! ان تحفى أنفس من كل هذه الصغائر ! سونيا . هاتى حلقة مفاتيح قصر باريس من درج المكتب ! أسرعى وحذار أن تنساها هنا ! سأقود إحدى السيارتين وسيقود الدوق الأخرى أما جان فيجب أن يبقى هنا قائماً على حراسة القصر مع فيرمان ! هيا بنا ! أسرعوا ! أسرعوا !

الفصل السادس

لم يكد من فى البهو يغادرونه ويوصدون الباب خلفهم حتى ظهر فى الشرفة مسيو كاروليه ذلك الرجل الذى كان ينوى شراء سيارة المليونير : وكان يسير فى حذر وهو يدير عينيه هنا وهناك كأنما يريد أن يتقى أن يراه أحد .

وأرسل كاروليه من فمه صفيراً خافتاً أقبلت على أثره أبناؤه الثلاثة وفى رفقتهم جان سائق السيارة.

وقال كاروليه يخاطب أبناءه والسائق :

— هيا وزعوا أنفسكم على الأبواب وأرهفوا الآذان جيداً . ان فى نيتهم أن يرحلوا الى باريس فاذا لم نعجل لم نظفر بالسيارتين .

فقال جان متبرما :

— لولا ولعه بأن يخطر الناس بما ينوى أن يفعل لما وقعنا فى هذه الضائقة ! ليت شعرى أية ضرورة تدعوه لأن يخطرهم بأنه سيسرق قصر باريس فى صباح الغد !

فقال مسيو كاروليه باسما :

— وما ضرر هذ الانذار أيها الغبي .! ان اليوم الأحد ومكاتب التليفون والتلغراف مغلقة ولا سبيل لهم الى الاتصال بباريس . . غداً نستولى على التاج اذاً أكبر ظنى انه فى باريس لأننى فتشت هـذا القصر تفتيشاً دقيقاً دون ان أهتدى الى أثره .

ووقف بعض الرجال عند الأبواب يحرسونها أما الباقون فمضوا يفتشون الادراج

وقال مسيو كاروليه :

— ليت شـعرى أى مكتب هو المقصود . ! فان البهو مشحون بالمـكاتب . ! ولكن ينبغى مهما تقاضانا الأمر أن نظفر بهذه المفاتيح.

فقال برنارد .

— لقد وصفه بأنه مطعم بالنحاس .

— ولماذا لم تقل هذا من قبل أيها الغبي !

ومشى كاروليه إلى المـكتب المطعم بالنحاس وحاول أن يفتح درجه فوجده موصداً فعالجه ببعض الادوات فانفتح

وهمس جان فى ذعر

— أسرعوا ! لقد رجع مسيو مارتان .!

واختطف كاروليه من الدرج حلقة من المفاتيح وأخرج من جيبه حلقة أخرى وضـعها مكان تلك التى أخذها وهتف بزملائه :

— هيا بنا .. هيا بنا . !

فانطلقوا إلى الحديقة من خلال الشرفة مسرعين .

ولـكن الباب فتح فى هذه اللحظة واستطاع مسيو جورناى مارتان أن يلمح رأس مسيو كاروليه وهو جار فى الهرب . فزعق بملء صوته :

— هيه.! لص .! فيرمان .! فيرمان .!

وجرى صوب الشرفة فاصطدم ببقايا المقعد المحطم وتعثرت قدمه فسقط على وجهـه . وتناهض المليونير وجاس على الأرض ثم لم يقو على مغالبة انفعاله فانهمرت عبراته .

ولما ملك روعه صاح بملء صوته :

— فيرمان . . فيرمان . . كارميراس . . كارميراس.

ثم مشى إلى النافذة وعاد يكرر نداءه .

وفتح الباب ودخل الدوق وهو يقول:

— هل كنت تنادينى . !

— أناديك ! لقد بح صوتى ! لقد اقتحمت اللصوص هذا البهو ولقد لمحت أحدهم وهو يهرب من الشرفة .

فقال الدوق باسما :

— أوه ! هذه أوهام ! أوهام !

فصرخ المليونير :

— سحقا للأوهام ! اؤكد لك انى رأيته كما أراك الآن .

فقال الدوق بلامبالاة :

— ولـكننى أخشى انك الآن لا ترانى مادمت تضئ هذا البهو الفسيح بمصباحين !

— انها غلطة هذا المجنون فيرمان ! كان ينبغى أن يضىء ستة مصابيح ، فيرمان ! فيرمان .

وتعالى وقع خطوات فيرمان وهو قادم وقال الدوق :

— يحسن بنا الآن أن نوصد النوافذ قبل رحيلنا . وإذا كنت تستطيع أن تركن إلى فيرمان فاعهد اليه بهذا البهو وزوده ببندقية . وحسبه أن يصيب أحد اللصوص بطلق نارى لكى يفر الاخرون هائمين على وجوههم. وان كنت أكره أن أدعك وجرمين وسونيا فى هذا القصر وليس معكم الا فيرمان .

فقال المليونير :

— ومن أنبأك اننا سنبقى ! إن فيرمان أهل لمواجهة اللصوص وحده ! لقد كان جنديا واشترك فى حرب السبعين !

وفتح باب القاعة ودخلت جرمين وفى أثرها سونيا والخادمة إيرما وقد ارتدين لباس السفر .

وقالت جرمين :

من المزعج ياأبتاه أن تضطرنا إلى الرحيل الى باريس بهذا الشكل فى جوف الليل .

فقال أبوها :

— لك أن تبقى إذا شئت فى هذا القصر ولكن ينبغى أن تعلمى قبل كل شىء اننى رأيت لصاً فى هذا البهو وحين شعر بى فر هاربا من الشرفة .

فقال الدوق فى هدوء :

— نعم وكان وجهه أسود وعيناه تتقدان بالشرر !

فقالت جرمين :

— وجهه أسود اللون ! أوه .! جاك .! ألا تنوى أن تكف عن هذه الدعابات ! ان هذا ليس اوانها .!

فقال الدوق فى صوت طبيعى :

— اننى لا أمزح إن هذا الضوء الخافت هو الذى جعل أباك يرى اللص أسود الوجه ! لو أن الضوء كان أشد من هذا لرآه أحمر الوجه مثلا .!

فقال المليونير لائما :

— ياعزيزى الدوق .! ان هذا الهذر لايليق بمن يحمل وسام اللجيون دونور وبمن سيصبح عضواً فى الاكاديمية ! اننى أؤكد لك اننى رأيت لصا فى هذا البهو .

فقال الدوق فى لهجة تهكمية :

وأنا لا أنكر هذا .! ولقد كنت الآن أصف لجرمين وجه هذا اللص .

فصاحت جرمين :

— أوه حسبك مزاحا ! انه مزاح سخيف !

فقال المليونير :

— وليس هذا أوان المزاح . . ! تحفى النفيسة . . وتاج الاميرة دى لامبال فى خطر . . ! وأنت تمزح ياعزيزى الدوق . . ! هذا شىء لا يطاق !

فنظر الدوق إلى سونيا وابتسم ثم قال :

— اننى أعترف اذن باننى مخطىء . . !

وصاح مسيو مارتان

ـ سونيا . . ! أين المفاتيح . . ! أين المفاتيح ؟
ومشت الفتاة الى المكتب ولكنها وجدت القفل محطما فصاحت :
أوه . !القفل مكسور . . !
فهتف مارتان فى لهجة تدل على الفوز :
ـ أصدقت إذن ياعزيزى الدوق أننى رأيت لصا . ! لقد كان يحاول الاستيلاء على المفاتيح !
وفتحت سونيا الدرج وصاحت : ولكن المفاتيح موجودة !
ولم تفطن الى أن اللصوص أبدلوا بالمفاتيح سواها .
فقال المليونير .
— لو اننى لم اباغت اللصوص فى الوقت المناسب لظفروا بالمفاتيح ! أرأيت يادوق انى لم أكن واهما .
فقال الدوق باسماً :
— اننى أسحب ماقلت اذن .! وأشهد بأنك رأيت حقاً أحد اللصوص ولكننى لازلت عند قولى من أنه كان اسود الوجه وان الشرر ينبعث من عينيه . ! مادموازيل سونيا . اعطنى هذه المفاتيح مادمت سأصل الى باريس قبل سواى .
وحين تناول الدوق المفاتيح من سونيا ضغط يدها فى رفق فتخضب وجهها احمراراً . ولم يفطن أحد إلى هذا لأن الضوء الذى يسود الغرفة كان خافتاً .
وقالت جرمين : هيا ياأبتاه أسرع وارتد معطفك ولا تدعنا فى انتظارك طويلا :
وأسرع الأب يغادر القاعة على عجل .
وما مضت لحظات حتى بدأ المطر ينهمر وضرب زجاج النافذة فقالت جرمين متذمرة :
ـ أوه كأنه لم ينقصنا إلا المطر . !
ولم يقل الدوق شيئاً وانما أخرج سيجارة أشعلها وراح يدخن .
وساد الصمت دقائق . وعلى حين بغتة أشرق وجه الدوق وقال فى ابتهاج :
ـ أوه . كيف لم أفكر فى هذا من قبل .! كيف نطيق البقاء فى هذا البهو الذى يسوده الظلام . !
وهب واقفاً ومضى يشعل عشرات المصابيح الأثرية الموجودة بالمكان واحداً اثر الآخر . وكانت جرمين تنظر اليه فى استغراب وتستهجن عمله مابين لحظة وأخرى ولكنه لم يكن يبالى بما تقول .
أما سونيا فكانت ترقبه باسمة وقد سرها منه روح المرح التى تبدو فى عينيه وهو ماض فى عمله .
وحين أقبل المليونير ورأى جميع المصابيح مضاءة هتف فى جزع :
— أوه .. ! ماهذا ياعزيزى الدوق ! البترول . ! البترول . ! هل تريد منى أن أنفق كل ثروتى على شراء البترول . !
فقال الدوق متجاهلا هذا الاحتجاج : لقد أبطأ جان فى إعداد السيارتين . هيا بنا اليه
وأخذ بذراع المليونير وغادرا البهو حتى إذا بلغا الباب الخارجى قال الدوق فى لهجة عادية :
— والآن ازعق وناد جان . !
فقال المليونير :
— ولم لاتناديه أنت .؟
فضحك الدوق وأجاب :

— لأن لك حنجرة قوية لاتبارى . وقد أعجبنى علو صوتك حين رأيت اللص وزعقت تنادينى أنا وفيرمان هيا ازعق .! ازعق .

فزعق المليونير ينـادى : جان . جان . فيرمان . فيرمان . !

الفصل السابع

كانت الليلة حالكة الظلام والمطر ينهمر بشدة . وصوت المليونير يشق السكون وهو ينادى : جان .وفيرمان ولكن أحداً لم يسارع إلى تلبية النداء فقال الدوق فى استغراب :

— ليت شعرى مايصنع هذان الأحمقان . ؟ يحسن بنا أن نمضى اليهما

فقال المليونير فى جزع :

أفى هذا الظلام والقصر يحفل باللصوص . ؟

— وإذا أحجمنا عن المضى اليهما فمن يذهب سوانا ؟ وهل نسيت ان كل لحظة نتباطأ فيها تفيد اللصوص الذين سيهاجمون قصرك فى باريس !

وأخذ بذراعه وخرجا الى الحديقة متجهين الى الجراج . فلما بلغاه وقف الدوق مكانه صعقا وقد اتسعت حدقتاه دهشاً :

لم يكن فى الجراج إلا سـيارة واحدة بدلا من ثلاث سيارات وكانت هذه السيارة هى القديمة التى أراد المليونير أن يبيعها الى كاروليه . وكان جان وفيرمان جالسين على مقعد السيارة بلا حراك .

وصاح بهما المليونير :

— تحركا . ! مالكما جامدين كالتماثيل !!

ولكنهما لم يتحركا ولم يلبيا النداء .

وحمل الدوق المصباح ودنا منهما ثم تراجع خطوة إلى الوراء وهو يقول :

— انهما موثقان ومكممان . !

— ماذا تقول ؟

وأخرج الدوق مدية من جيبه فمزق القيود ورفع الكمامات فقال فيرمان وقد تيسر له أن ينطق :

ـ انه كاروليه ! عليه اللعنة !

وقال جان مؤيدا:

ـ لقد وثب علينا من الخلف هو وابناؤه !

وعاد فيرمان يقول :

ـ لقد أوثقوا قيادنا وكموا أفواهنا!

ـ وقال جان :

ثم انطلقوا هاربين بالسيارتين .

فأطلق الدوق ضحكة عالية وقال :

ـ ان صديقك لوبين ليس اذن بالرجل الهازل العابث ! لقد سرق السيارتين ليحول دوننا واللحاق بأعوانه فى قصر باريس ! الواقع أنها حكاية لطيفة جدا .

فصاح المليونير وهو يكاد أن يفقد وعيه :

— حكاية لطيفة ! أتراها حكاية لطيفة وتحفى ونفائسى وشيكة بأن تسرق ؟!

فكف الدوق عن الضحك وقال :

— ينبغى الآن أن نتخذ خطة أخرى ، سأستقل وحدى هذه السيارة العتيقة وأمضى بها الى باريس .

— ولكنها عتيقة لاتصلح للسفر الطويل .

— اننى لا أبالى ،ينبغى أن أبلغ باريس بأى شكل كان . ! والمسافة ليست بعيدة على أية حال فهى فيما أعلم لاتزيد على مائتى ميل ، ولكنى أكره أن أدعكم ورائى فى القصر إذ قد يهاجمه اللصوص مرة أخرى .

فصاح المليونير فى جزع :

— ولكننا لن نبقى ، سنستقل القطار الى باريس .

— ولكنها ستكون رحلة شاقة مرهقة .

— فليكن ! هيأبنا فالوقت من ذهب .

ومضيا الى القصر وأنبأ مسيو جورناى مارتان ابنته جرمين بما وقع فهاجت ثائرتها ضد السفر بالقطار ، وصارحت أباها بأنها لاتطيق مثل هذه الرحلة الطويلة التى لن تقل عن عشر ساعات .

فلما سكنت الثورة قالت سونيا :

— ولكن أهناك قطار الآن إلى باريس !

فقال المليونير:

— أين جدول المواعيد ؟ أين الجدول ؟

فأجاب الدوق :

— اننى اعرف أن فى درج هذا المكتب جدولا

وفتح أحد الادراج وأخرج منه جدول مواعيد قطارات السكك الحديدية وقدمه إلى مسيو مارتان فجعل هذا يقلب الصفحات حتى انتهى إلى ما يبحث عنه فقال :

— نعم يوجد قطار الآن .فى الساعة التاسعة تماما فلنسرع اذن إلى المحطة

فقالت جرمين :

— وكيف تبلغ المحطة مادام الدوق سيستقل السيارة !

فقال فيرمان مجيبا :

— إن مركبة النقل التى ستحمل الحقائب مازالت بالباب :

فصاحت جرمين فى ازدراء :

— مركبة نقل ! إننى لا يمكن أن أجلس فوق مركبة نقل .

ولكن أباها قاطعها بقوله :

— انها غاية مانصبو اليه الآن . . وسأقودها بنفسى هيا أسرع يافيرمان وشد اليها الجواد .

وكان من حسن الحظ أن غادر فيرمان القاعة فى تلك اللحظة لأن الدوق سأل عن الوقت ولما كانت ساعتا جرمين وأبيها غير متفقتين فقد ثار الجدال بينهما فلو أن فيرمان كان موجودا — وساعته لا تتفق مع ساعتيهما — لانقلب الجدل معركة حامية !

وقال الدوق أخيرا :

— والآن سأمضى أنا إلى شأنى . أما مركبة النقل فأحسبها ستقطع المسافة إلى المحطة فى نصف ساعة .

ونادته جرمين قائلة :

— لحظة واحدة! أفي القطار مركبة للأكل.؟فانى أكاد أموت جوعا؟

فصاح أبوها .

— لست أدرى . فلنزود أنفسنا بشىء من الطعام .

فصاحت جرمين :

— سونيا . ايرما . فيرمان ! أسرعوا واعدوا لنا طعاما نحمله الى القطار .

وحين مرت سونيا بالدوق همست في صوت خافت :

— كن حذراً ولا تجازف بنفسك ! انني أكره أن أراك تمضى إلى باريس فى مثل هذه الليلة العاصفة ! فأرجوك أن تكون حذراً .

فقال الدوق مجيباً :

— سأكون حذراً .

وبعد لحظات كان الدوق منطلقا بالسيارة صوب باريس .

ودق الباب ودخل السائق جان وهو يقول :

— لقد أمرنى فخامة الدوق بأن أبقى فى القصر لأقوم على حراسته بمساعدة فيرمان .

وأخذ المليونير يوزع بينهما واجبات الحراسة .

ولما كان فيرمان جنديا سابقاً ورجلا لايعرف الخوف الى قلبه سبيلا فقد عهد اليه بأن يحرس البهو لأنه موضع الخطر والمنفذ الذى سيبدأ منه الهجوم . أما جان فعهد اليه بحراسة قاعة الاستقبال المتصلة بالبهو وهى قاعة لن يبلغها اللصوص إلا اذا اقتحموا البهو أولا .

وزود مسيو مارتان كلا منهما ببندقية محشوة

ونادى فيرمان وقال يخاطبه :

— فيرمان ! انني أعتمد عليك ! ولقد عهدت إليك بموقف الخطر والشرف ، وهو موقف يلذ للجندى الفرنسى الشجاع ! وأنت جندى شجاع . !

وشمخ فيرمان بأنفه وحاول أن يبدو فى مظهر الجندى الفرنسى الشجاع . !

وقال المليونير :

— إن المهمة خطيرة غير هينة ! قد يواجهك عشرات من اللصوص المدججين بالسلاح

فقال فيرمان فى شجاعة : كن مطمئنا ياسيدى ! لقد اشتركت فى حرب السبعين ، ومثلى لن يهاب شيئا

— حسناً ! انني أعهد اليك بالقصر وأكل اليك المحافظة على مافيه من تحف ونفائس .

ثم نهض واقفاً وهو يقول .

— والآن ينبغى أن نمضى الى المحطة وإلا فاتنا القطار

وهبط إلى فناء القصر وخلفه جرمين وسونيا وإيرما

واستوى المليونير جالساً فى مقعد سائق مركبة النقل . وجلست جرمين خلفه وهى تدمدم غاضبة .

والتفت المليونير السائق إن فيرمان وجان وقال .

— والآن فانى أوصيكما بالشجاعة !

ورفع سوطه وهوى به على ظهر الجواد فانطلقت المركبة فوق الطريق الحجرى وهى تميل ذات اليمين وذات

الشمال وتخضخضت أجسام من فوقها فى عنف .
ولما خفت صوت المركبة التفت فيرمان إلى جان وقال فى أسى :
— انها مهمة غير سارة .! إن اللصوص لايحجمون عن شىء . وقد يقطعون أعناقنا بلا تردد .
فقال جان :
— هذا أمر لامهرب منه .. ولكننى بمنجاة عن الخطر على أية حال . أما أنت ففى موقف الشرف والخطر !
ثم أردف جان يقول :
ولا سبيل لهم إلا اذا اجتازوا البهو الذى تحرسه أنت ولهذا سأوصد الباب بينى وبينك.
فصاح فيرمان الذى اشترك فى حرب السبعين
— كلا. انك لن توصده.! انك لن توصده!
— بل أوصده حتما !
ولما صعدا إلى القصر حمل جان بعض الصحف ومضى إلى قاعة الاستقبال وهو يقول :
— سأتلهى قليلا بالقراءة ثم أستغرق فى النوم ! ووصيتى إليك ياصديقى أن تظل ساهراً طول الليل وإلا فاجأتك اللصوص وضربوا عنقك ، وعليك أن تطلق النار بلا تردد على أول لص تلمحه ، والآن مساء الخير .
وترك فيرمان وحده فى البهو ودخل الى قاعة الاستقبال بعد أن أوصد الباب خلفه بالمفتاح .
ولما خلا فيرمان بنفسه فى هـذا البهو الفسيح الأرجاء تسرب الخوف إلى نفسه ومضى يجيل فيما حوله نظرات وجلة حافلة بالذعر ثم انسل من البهو الى الممشى المفضى الى المطبخ .
وكانت زوجته جالسة الى المائدة فى انتظاره .
فقال يخاطبها :
— لعمرى ان الخوف لم يداخل قلبي منذ حرب السبعين إلا اليوم . !
ومسح بكمه جبينه الذى كان يتصبب عرقاً .
فقالت زوجته تسائله :
— وما الذى يخيفك ؟
— اللصوص .. اللصوص الذين يقطعون الأعناق . !
وحدثها بالأمر كله وكيف أن مسيو جورناى مارتان عهد اليه بموقف الشرف والخطر ، فصاحت المرأة فى جزع :
— ألا فليحفظنا الله ! وسحقاً لموقف الشرف ! أغلق باب البهو وعد الى هنا سريعاً فان اللصوص لن يهاجموا المطبخ على أية حال .
— ولكن كنوز سيدى ونفائسه !
— سحقا لكنوز سيدك ونفائسه ، إن لك عنقاً واحداً ولا أحب لك أن يقطع ، هيا أوصد باب البهو وارجع على عجل .
ففعل فيرمان ما أشارت به زوجته ، فلما عاد اليها وجدها قد هيأت له طعاماً فاخراً شهياً ، فأقبل عليه يلتهمه فى شره وهو يرهف أذنيه للسمع من حين لآخر كأنما يتوقع أن يسمع جلبة اللصوص وهم يقتحمون القصر .
ومال فيرمان إلى الخمر يحتسى منها كأسا بعد كأس فألهبت دماءه ونفت عنه الخوف وبثت الشجاعة فى نفسه فأخذ يحدث زوجته عن واجبه نحو سيده وعزمه على أن يبذل دمه فى سبيل اداء هذا الواجب وكيف انه

جرىء لا يهاب اللصوص .
ثم أنشأ يصف كيف ينوى أن يبطش باللصوص وكيف سيدق اعناقهم واحداً إثر واحد بلا رحمة أو هوادة .
وبينما كان ماضيا فى حديثه اذ شقت سكون الليل طرقات عنيفة على باب القصر الخارجى . فأجفل فيرمان وجمد فى مكانه كالتمثال وقد اتسعت حدقته رعبا . أما زوجته فوثبت إلى باب المطبخ توصده بالمفتاح . ثم ارتدت الى مقعدها وجعلت تبادل زوجها نظرات وجلة وهما لا ينبسان بكلمة واحدة .
واستمرت الطرقات تتوالى على باب القصر تتخللها أصوات صاخبة .
ومرت خمس دقائق والقرع لا ينقطع والصخب لا يسكن .
وأخيراً قالت مسز فيرمان فى شىء من التردد مخاطبة زوجها :
ـ أليس. أليس هذا هو صوت مستر مارتان!
فقال زوجها فى وجل :
— صوت مستر مارتان ؟
— نعم انه هو صوت سيدك .!
وأصاخ الاثنان بسمعهما ثم قال فيرمان :
— انه هو حقا .!
ووثب ناهضا وحمل بندقيته وفتح باب المطبخ وانطلق يهبط الدرج المفضى الى باب القصر .
وفتح باب القصر فاذا هو وجها لوجه أمام سيده وفى رفقته جرمين وسونيا وايرما .
وصاح به المليونير : تعسا لك ! أين كنت ؟ ولم تتركني على قارعة الطريق أتلقى المطر على رأسى ؟
فقال فيرمان متلعثما .
— اللصوص . ! لقد ظننت أنكم لصوص . ؟
— لصوص . ! وهل ترانى أشبه اللصوص . !
ودفعه فى صدره ينحيه عن طريقه ودخل .
ولما استقر بهم المكان قالت جرمين .
لماذا لم تستوثق من الأمر . اكان ينبغى أن تدرك انه لا يوجد قطار فى الساعة التاسعة . ! و مع هذا فلن أسافر إلى باريس الليلة . !
فقال أبوها : وأنى لى أن أعرف أن بالجدول خطأ . ! أين هو هذا الجدول الملعون . !
وتناول جدول مواعيد القطارات فنظر فيه ثم صاح!
سخفا . ! هذا الجدول خاص بسنة ١٩٠٣ . لقد مضت عليه ثلاث سنوات !
فصاحت جرمين فى غيظ : هذه مزحة سخيفة من مزحات جاك .
وحانت منها التفاتة إلى المكتب فاستقرت عيناها على علبة القلادة وقالت :
أوه لقد نسيت القلادة ! ولكن عجبا . ان العلبة فارغة فأين القلادة ؟
فصاح أبوها :
ـ لقد سرقت حتما !
ولكنها أجابته بقولها :
ـ أكبر ظنى أن جاك قد أخذها معه عند سفره إلى باريس .

الفصل الثامن

كان الضباب فى ذلك الصباح يسود جو باريس وقد كاد مخفر البوليس أن يخلو الا من نفر قليل من رجال الشرطة قد استووا على المقاعد فى كسل وتراخ وقد أوشك النعاس أن يغلبهم ويغمض منهم العيون ولكنهم أفاقوا على دوى سيارة تقف بالباب واعتدل المفتش فى جلسته وراح يترقب دخول القادم.

وقال القادم فى لهجة سريعة:

— اننى الدوق كارميراس من طرف مسيو جورناى مارتان.. لقد تلقى جنابه ليلة الأمس رسالة من ارسين لوبين ينذره فيها بأنه سيقتحم قصره فى .ربس فى صباح اليوم.

وحين سمع المفتش اسم ارسين لوبين انبعث واقفاً وقد بدا الاهتمام جلياً فى عينيه وهتف يقول:

— وأين هذه الرسالة ياصاحب الفخامة..؟

فنزع الدوق قفازه وأخرج الرسالة من جيبه وناولها إلى المفتش فقال هذا بعد أن تأملها:

— نعم.. هذا هو خطه المألوف:

فقال الدوق على عجل.

— ليس لدينا الآن وقت نضيعه وكان ينبغى أن أصل منذ ساعات ولكن السيارة لقدمها أصيبت بعطب فى الطريق. وإننى لأخشى أن أكون قد وصلت باريس متأخراً.

— هيا بنا ياصاحب الفخامة.. هيا بنا..

وأومأ المفتش إلى اثنين من رجاله بأن يتبعاه.

ولما بلغت هذه الجماعة باب الدار أخرج الدوق حلقة المفاتيح من جيبه ودس أحدها فى ثقب الباب وأداره ولكنه لم ينفتح، فعاد يجرب مفتاحاً آخر ولكن بدون جدوى.

وقال المفتش:

— دعنى أجرب حظى ياسيدى الدوق.

وجاءت هذه التجربة أيضا بلا نتيجة.

فقال الدوق:

— إذن فقد أعطونى هذه المفاتيح خطأ...

ولكنه أردف على عجل:

— كلا.. كلا.. الواقع ان المفاتيح أبدلت.

فقال المفتش فى دهش:

— أبدلت.؟

— نعم فقد ذكر مسيو جورناى مارتان بالأمس أنه لمح لصاً يفر من نافذة البهو وقد وجدنا درج المكتب الذى به المفاتيح مكسوراً.

فقال المفتش مخاطباً أحد رجاله:

— عليك بالباب الخلفى.

وعاد اليه الرجل بعد لحظة ينبئه بأن هذا الباب موصد أيضاً.

وأخذ المفتش يدق باب القصر بشدة دون أن يلبى نداءه أحد.

وقال المفتش فى استغراب :
— ليت شعرى أين البواب ؟
فأجاب الدوق :
— وهناك أيضا خادمة عجوز تدعى فيكتوار ، إنى لا أرجو ألا يكون قد مسهما سوء ، يحتمل انهما قتلا .
فهز المفتش رأسه فى انكار وقال :
— ليس هذا هو اسلوب لوبين . ! انه يمقت العنف ولا يلجأ اليه مطلقاً .
— يحسن بنا فيما أرى أن نقتحم الباب .
— ولكن الا يعترض مسيو مارتان على هذا ؟
— اننى أحتمل المسئولية وحدى .
— فليكن اذن
وأمر المفتش أحد رجاله أن يبادر إلى استدعاء نجار على عجل .
— وقل له اننا سننقده جنيها أجراله .
فقال الدوق :
— بل ثلاثة جنيهات على أن يعجل بالحضور .
وأشعل الدوق سيجارة وأخذ يدخنها وهو يرقب المفتش عند فحصه المكان وطوافه حول القصر .
فلما انتهى من هذا الفحص قال الدوق يسائله .
— هل اهتديت إلى شىء ؟
فكان جواب المفتش : كلا
وأخيراً أقبل النجار فالقى نظرة على الباب وقال :
— ان تحطيم هذا القفل يستغرق ساعة على الأقل . ولكن يمكن أن ننشر الخشب حول القفل وننزعه من موضعه وهذه عملية لن تستغرق أكثر من دقائق وان كان من الواضح انها ستشوه الباب .
فقال الدوق : فلتنشر الخشب اذن فاننا فى حاجة الى السرعة
وبعد لحظات كان الباب مفتوحا على مصراعيه فأخرج المفتش مسدسه ودخل إلى البيت وفى أثره الدوق والشرطيان وكانت نوافذ البهو موصدة تلقى على المكان ظلا معتما فأسرع الشرطى وفتحها ففاض النور بالقاعة :
وأومأ المفتش إلى غرفة البواب وهو يقول مخاطبا أحد الشرطيين :
— انظر ماذا دهى البواب !
فعاد الرجل يقول .
— إنه موثق القياد ومكمم . وكذلك زوجته.
فقال الدوق :
— إن الغرف التى ينوى لوبين مهاجمتها تقع فى الطابق الأول فلنسرع اليها اذ يحتمل أن الاشقياء مازالوا موجودين .
— وارتقى الدوق الدرجات وهو يجرى وفى أثره المفتش حتى اذا انتهى إلى باب قاعة الاستقبال دفعه فانفتح .

حرا .

...مه النظام والمقاعد مقلوبة أو منقولة من مواضعها : وبدت الجدران مجردة من اللوحات ...تى كانت تغطيها .

وكانت النافذة المواجهة للباب مفتوحة وقد تهشم أحد مصراعيها واسند إلى النافذة من الخارج سلم خشبي وكانت هناك طاولة أثرية موضوعة إلى جوار النافذة وقد برزت حافتها إلى الخارج .

وبدت فى ركن القاعة مدفأة كبيرة مشيدة فى الجدار وقد أقيم عند مدخلها حاجز للنيران صنع من الحديد المبطن بمواد عازلة للحرارة وأمام هذا الحاجز صنعت المقاعد فى شبه دائرة وقد شدت بالحبال استعداداً لنقلها وكانت المقاعد — فى موضعها هذا — تحجب مدخل المدفأة وتستر خلفها حاجز النيران .

وجرى الدوق والمفتش الى النافذة وأطلا على الحديقه فوجداها خالية . ولمحا فى نهايتها — وخارج السياج الذى يحوطها — « سقالات » من الخشب مقامة فى البيت المجاور الذى يجرى تشييده ،

وبذلك ساعدت الظروف اللصوص على أمرهم ومهدت لهم السبل الى مايبتغون . ففى سياج الحديقة فجوة يستطيعون أن ينفذوا منها إلى الممر الدى يفصلها عن البيت الذى لم يتم تشييده بعد

وارتد الدوق عن النافذة واستقرت عيناه على جدار القاعة فقال وهو يومىء الى موضع إحدى الصور المنزوعة:

— انظر ! انظر !

وبدا فى خط جلى واضح توقيع أرسين لوبين

وقال المفتش :

ـ هذه مهمة ينبغي أن يتولاها جوشارد . ولـكن يحسن بى أن أستدعى قبل كل شىء أحد قضاة التحقيق وهرع إلى التليفون

وفتح الدوق البـاب المفضى إلى قاعة الاستقبال الصغرى فايقن على الفور انها لم تسـلم من هجمـات أرسين لوبين إذ كانت الجدران عارية إلا من توقيعه الذى بدا حيث انتزعت الصور والسجاجيد الأثرية النفيسة .

ولما فرغ المفتش من حديثـه التليفونى مضى يفحص الغرفتين وينقب فيهما بحثا عن آثار قد تهدى إلى اللصوص ولـكنه لم يجد حتى بصمات الاصابع .

وقال المفتش وقد ادركه القنوط

— يجب أن نبحث الآن عن الخادمة فيكتوار . وأكبر ظنى انها مازالت مستغرقة فى نومها وما أحست شيئا مما وقع .

وصعد المفتش والدوق الدرج المفضى الى غرفة الخدم وأنشأ يناديها بلاجدوى . ثم مضيا يفتشان الغرفة واحدة إثر واحدة .

وقال أحد رجال الشرطة : لقد كانت هذه الغرفة مشغولة .

والواقع أن الفراش كان غير منسق مما يدل على أن فيكتوار كانت نائمة فى هذا السرير

وقال الدوق متسائلا :

— ليت شعرى اين ذهبت اذن .. ؟

فقال المفتش :

— أين ذهبت ! مع اللصوص طبعا . انها شريكة لهم بلا ريب .

— ولـكنني أعتقد أن مسيو جورناى مارتان شديد الثقة فيها .

— الآن سيتبين ان ثقته أصابت غير أهلها !

وأخذ المفتش ورجاله يفتشون سائر غرف الدار ولكنهم لم يهتدوا إلى أثر فيكتوار على رغم دقة البحث .

وقال البواب وزوجته بعد أن حل الشرطي وثاقهما ورفع الكمامات عن فمهما إن اللصوص باغتوه وزوجته دون أن يشعرا . وأنه لايستطيع أن يعلل اختفاء فيكتوار .

وقال المفتش وهو ينظر في ساعته : ينبغي أن أتصل الآن بمدير الأمن العام .

فقال الدوق : واطلب منه ان يبعث إلينا بجوشارد .

— جوشارد . ! أوه . ! ان قاضي التحقيق مسيو فورمري لا يميل الى جوشارد .

— ولكنني لا أعرف مسيو فورمري هذا . ! هل هو كفء في مهنته ؟

فقال المفتش على عجل: نعم . نعم . انه كفء جداً .

— ولكن مسيو جورناي مارتان أوصاني بشدة أن أستدعي جوشارد إذا وجدت السرقة قد وقعت . ولقد فهمت أن بين جوشارد وأرسين لوبين عداوة شديدة ولهذا يعتقد مسيو مارتان أن جوشارد هو أصلح رجل لمطاردة لوبين لانه لن يدع أثراً الا اهتم به ولن يدع مكانا إلا فتشه .

فقال المفتش : الرأي لك يافخامة الدوق .

ومضى إلى التليفون فقص على مدير الأمن العام تفاصيل الجريمة . فلما فرغ من ذلك انبرى الدوق يقول : انني أوثر أن أتحدث اليه بنفسي .

وتناول سماعة التليفون وقال يخاطب مدير الامن العام .

— انني الدوق كارميراس . وقد رجاني مسيو جورناي مارتان أن أستدعي مسيو جوشارد لانه شديد الرغبة في الاستعانة به .

فوعده المدير بأن يعهد إلى جوشارد بهذه المهمة .

والتفت الدوق الى المفتش وقال يسائله :

— ومتى يحضر مسيو فورمري ؟

— بعد ساعة على الأقل. بعد أن يفرغ من تناول الفطور .

فقال الدوق باسماً :

— الفطور . ! لقد كدت أنساه والله ، انني لم أتناول طعاماً منذ ليلة الأمس ، ولكنني لا أحب أن أغادر الدار إلى أحد المطاعم ، ولهذا سأعهد إلى البواب بأن يهيء لي أي شيء يمكن أن يؤكل .

وهبط إلى غرفة البواب وأمره بأن يعد له طعاماً سريعاً ، ثم صعد الى الحمام فأخذ « دشاً » بارداً ، فلما فرغ منه كان الطعام في انتظاره .

ومضى على أثر هذا الى قاعة الاستقبال وارتمى على أحد المقاعد وأشعل سيجارة أخذ يدخنها في بطء . وسمع طرقاً خفيفاً على الباب أعقبه صوت المفتش وهو يقول : هاهوذا مسيو فورمري قد حضر .

الفصل التاسع

فتح الباب ودخل قاضي التحقيق مسيو فورمري وهو يمشي على مهل كأنما يريد أن يومئ الى الحاضرين بأهمية وجوده .

وقال المفتش وهو يومئ إلى الدوق مقدماً أحدهما للآخر :

— الدوق كارميراس ... مسيو فورمرى .

فقال قاضى التحقيق :

— يسرنى أن أتعرف لفخامتك وان كانت الظروف التى أحاطت بهذا التعارف مؤلمة مزعجة .

وانحنى الدوق وهو يغمغم بكلمات المجاملة المألوفة فى مثل هذه المناسبات .

ثم راح يتفرس فى قاضى التحقيق برهة ، فرآه رجلا ريفى المظهر ، لاتبدو عليه مخايل الفطنة والذكاء . وعجب كيف يمكن أن يفلح مثل هذا الرجل فى مطاردة لوبين اذا كان جوشارد — وهو الرجل الذى لاينكر ذكاؤه المفرط — قد أخفق فى هذا الصراع.

وقال قاضى التحقيق متسائلا ؟

— أهذا مكان الجريمة..؟

فأجاب المفتش قائلا :

— نعم ياسيدى . . إلا إذا كانت قد وقعت سرقات فى المخادع لم نتبينها وسيهدينا مسيو مارتان إلى الحقيقة عند قدومه

فقال الدوق باسما :

— إننى أخشى أن يكون مسيو مارتان على حال لاتمكنه من الافضاء بأى بيان شاق . فقد تركته فى قصر كارميراس وهو يوشك أن يفقد الوعى . ولكننى أستطيع أن أقرر بصفة مبدئية ان السرقة وقعت فى هاتين الغرفتين إذ كان مسيو مارتان يحتفظ فيهما بتحف نادرة من اللوحات الفنية والسجاجيد الأثرية .

فقال قاضى التحقيق : أرجو ألا تكونوا قد مسستم شيئاً فى هذا المكان حتى لاتضيع معالم اللصوص أو الآثار التى خلفوها وراءهم . .

— كلا .. لم ينقل شىء من موضعه مطلقاً .

وأخذ المفتش يقص على القاضى تفاصيل ماحدث وكيف اقتحموا الباب وكيف وجدوا البواب وزوجته موثقى القياد ومكممين وكيف لم يعثروا للخادمة فيكتوار على أثر .

وقال مسيو فورمرى :

ويحتمل انهم شركاء فى الجريمة

فقال الدوق متسائلا :

— وهل من دأب لوبين أن يتخذ شركاء ؟ ومعذرة عن جهلى فاننى قضيت سبع سنوات خارج فرنسا .

فقال مسيو فورمرى فى حدة :

— لوبين ؟ وما شأن لوبين بهذه السرقة ؟

— لقد أنذر مسيو جورناى مارتان بالأمر وعقب وصول الانذار سرقت السيارتان . ! وهذه توقيعاته على الجدران .

فقال مسيو فورمرى فى استخفاف :

— لوبين . ! دائما لوبين . ! دائما لوبين . ! كل سرقة تقع يعزوها الناس إلى لوبين .! يالها من أوهام سخيفة .! وهذه التوقيعات ألايجوز أن تكون مزورة ؟

فقال الدوق :

— لست أدرى اذا كان جوشارد يشاطرك هذا الرأى أم لا .؟

— جوشارد . ! ولـكننا لن نستعين بجوشارد . ! انه لايفكر إلا فى لوبين ، ولايتكلم إلا عن لوبين . !

— ولـكن مسيو جورناى مارتاز يلح فى أن أدعوه إلى البحث وقد دعوته تليفونياً .

فقال مسيو فورمرى : إيه . . مادمت قد دعوته فعلا فلا مفر من الأمر الواقع .! ولـكن لم تكن هناك ضرورة تدعو إلىهذا على الاطلاق . !

ومضى مسيو فورمرى يدير أنظاره فى أرجاء الغرفة ويتأمل السلم المسند الى حافة النافذة ثم قال :

— أرسين لوبين . ! وهم سخيف . ! إن لوبين لايخلف وراءه آثاراً ، والعين هنا لا تأخذ إلا آثاراً . ! بالله عليكم دعونا من هذا الوهم . !

فقال المفتش مؤمنا :

— انها فى الواقع سرقة عادية لايقدم عليها لوبين !

— بلاشك .. بلا شك ! سرقة عادية خالية من الغوامض والألغاز .. لقد دخل اللصوص إلى المنزل من النافذة بواسطة هذا السلم وغادروه من نفس الطريق .

ومشى إلى خزانة كبيرة وضعت أمام باب موصد غير مستعمل وعالج مقبضها ولـكنه لميتحرك فقال :

— من المؤكد اذن انهم لم يمسوا هذه الخزانة .

فقال الدوق :

— هذا من حسن الحظ فاننى أظن أن تاج الأميرة دى لامبال موضوع فى هذه الخزانة .

ولكن أما جاء فى الانذار الممهور بتوقيع لوبين انه ينوى أن يسرق التاج .؟

— نعم لقد ذكر هذا حقاً فى رسالته :

فابتسم قاضى التحقيق وقال :

— هذا دليـل جديد على أن ليس للوبين شىء بهذه السرقة فانه لايتوعد إلا انفذ وعيده . ! ولـكن من الذى يتولى حراسة هذا البيت . ؟

فقال المفتش مجيباً :

— البواب وزوجته وخادمة تدعى فيكتوار .

— لقد أمرت أحد الشرطة أن يحضر الملفـات الخاصة بهم وسأستجوب البواب وزوجته بعد الاطلاع عليها هل وجدتهما موثقين مكممين . ؟

— نعم وكانت الحبال زرقاء والـكمامة صفراء . نفس الألوان الذى يستعملها لوبين .

— وأين الخادمة فيكتوار؟ اننى أريد أن أستجوبها .

— ولـكننا لم نعثر عليها .

— لم تعثر واعليها ! كيف هذا. ؟

فقال المفتش مجيبا :

— لقد فتشنا البيت تفتيشا دقيقا فلم نهتد إلى أثرها .

فأشرق وجه مسيو فورمرى وقال :

— هذا بديع .! هذا بديع . ! انهـا اذن شريكة اللصوص . ومادمنا قد اهتدينـا الى أحد الشركاء فقد هان أمر الباقين .

فقال الدوق :

— ولكنى أعرف ان مسيو مارتان يثق فيها ثقة عمياء . ولقد كانت الجواهر وهدايا العرس موكولة إلى حراستها .

— واين هذه الجواهر والهدايا . ! هل سرقت أيضا ؟

— أرجح انها لم تسرق وان لم أكن موقنا إذ يخيل الى ان اللصوص لم يمسوا إلا هاتين الغرفتين .

فقال مسيو فورمرى :

— هذا عجيب حقاً . !

ثم أردف يقول :

— وهل فتشتم جميع غرف القصر ؟

فأجاب المفتش :

— لم ندع غرفة إلا فتشناها . ! لقد نقبنا عنها فى كل ركن وكل فراش وكل مكان

— أما وجدتم ثيابا ممزقة . ! أو بقعا من الدم ؟ أو شيئا من هذا القبيل ؟

— لم نجد شيئا على الاطلاق . !

— هذا شىء غريب ! وأين مخدعها . ! وهل كان الفراش منسقاً ؟

— ان مخدعها فى الطابق الاعلى ولقد وجدت الفراش مشوشا ولكنها لم تحمل معها ثيابا اذ خطر ببالى انه يحتمل انها فرت .

فقال مسيو فورمرى وقد شرد ذهنه قليلا :

— غريب جدا . ! لقد بدأ الامر يتعقد وتكتنفه الغوامض . !

فقال الدوق فى هدوء :

— ربما استطاع جوشارد ان يلقى بعض الضوء على هذا اللغز .

فعبس مسيو فورمرى وقال :

— نعم . نعم . ربما استطاع جوشارد أن ينير أمامنا السبيل . اننى لا أنكر عليه ذكاءه وتوقد ذهنه ولكنه أصبح رجلا لا يرجى منه الخير مذ تسلط عليه الوهم بأن للوبين أصبعا فى كل حادث . ! ان هذا الوهم يفسد عليه تفكيره ويدفع به الى طرق ملتوية تباعد بينه وبين الحقيقة .

ولمح الدوق كتابا ملقى على الارض فانحنى يلتقطه ولكن مسيو فورمرى بادله بقوله :

— عفواً ولكن أرجوك أن تدع كل شىء فى موضعه فقال الدوق وهو ينظر إلى الارض :

— هذا شىء غريب .!

— ماهو هذا الشىء الغريب .. ؟

— انظر .. تحت هذا الكتاب الذى رفعته عن الأرض أثر قدم .!

فانحنى مسيو فورمرى والمفتش يتأملان هذا الأثر ثم قال أولهما :

— انه يشبه الجير .! فمن أين أتى الجير.؟

فقال الدوق :

— لنفرض أن اللصوص أتوا من الحديقة.!

فقال مسيو فورمرى فى يقين :

— وهل هذا أمر يحتمل شكا .؟ لقد أتوا من الحديقة طبعاً!

ان فى نهاية الحديقة منزلا جديدا يبنى .!

فقال مسيو فورمرى على عجل :

— هذا صحيح . ! هذا صحيح .! لقد علق الجير بأحذية اللصوص وقد محوا آثارأقدامهم عند انصرافهم وقد سقط الـكتاب فوق هذا الأثر فأخفاه عن عيونهم فلم يزيلوه ! وهذا الأثرقرينة جديدة ترجح ماذهبنا اليه من انهم دخلوا هذا البيت وخرجوا منه بواسطة النافذة . وإلا فما معنى وجود السلم مستنداً الى حافة النافذة وهذه الطاولة التى ادنيت منها .! ياجناب المفتش .. خذ مقاسات هذا الأثر . وما أرتاب فى أننا سنجد آثارا مماثلة فى الجير المـكوم إلى جوار المنزل الجديد .

وطرق أحد الشرطة باب الغرفة ودخل يقول :

— لقد جاء الخدم من كارميراس ياسيدى .

فقال مسيو فورمرى .

— دعهم ينتظروا فى جناح الخدم .

ثم تحول إلى الدوق وقال :

— حدثني عن سرقة السيارات التى وقعت فى كارميراس .

— حين وصـل انذار لوبين إلى مسيو جورناى مارتان قررنا أن نبادر إلى باريس بالسيارات لنحول دون وقوع السرقة . ولـكنا حين ذهبنا إلى الجراج وجدنا الخادم والسائق مكممين وموثقين وقد سرقت السيارتان السريعتان ولم تبق سوى السيارة العتيقة المعطوبة .

فقال مسيو فورمرى وهو غارق فى خواطره :

— هذا شيء له أهميته ! هذا شيء له أهميته ! وهل كانت السيارتان الشى الوحيد الذى سرق ! أما وقعت سرقات أخرى ؟

فقال الدوق فى شيء من التردد :

— لقد وقعت سرقة أخرى . أو بعبارة أدق محاولة للسرقة !

وقص عليه ما كان من زيارة كارولين وأبنائه للقصر وكيف أن أحدهم حاول أن يسرق القلادة واختتم حديثه بقوله : ولـكنى أمسكت به وهو متلبس بالسرقة واستردت القلادة

فهتف مسيو فورمرى وهو يفرك كفيه جذلا :

— هذا بديع .! هذا بديع .! لقد وضعنا يدنا على أحد أفراد العصابة وسأستجوبه فى الغد .

فقال الدوق :

— ولـكن أخشى أن يكون استجوابه مستحيلا .

— مستحيلا .؟ ولماذا .؟ هل هرب من البوليس .؟

— كلا ، ولـكننى أطلقت سراحه ولم أسلمه للبوليس

فصاح مسيو فورمرى فى انزعاج :

— لم لم تسلمه للبوليس . ؟

— لقد توسل إلى أن أصفح عنه وكان المسكين بادى الفزع .! وحسبي اننى استرددت القلادة .

— ولـكن واجبك . ! واجبك حيال الهيئة الاجتماعية .

— اننى أعترف بأننى أخطأت فى اطلاق سراحه ، ولـكن الشفقة غلبتنى على أمرى

وعقد مسيو فورمرى ذراعيه على صدره وأخذ يروح ويغدو فى الغرفة ثم قال بغتة :

— مما لاشك فيه ان هناك علاقة وثيقة بين السرقة التى وقعت فى كارميراس وبين السرقة التى وقعت فى هذا القصر . !

وابتسم المفتش اعجاباً بذكاء قاضى التحقيق ، أما الدوق فقد ابتسم استخفافا إذ كان تقرير هذا الأمر من البديهيات التى لا تحتاج إلى عناء .

وقال قاضى التحقيق بعد برهة :

— اننى أجمع خيوط الحادث .! ياجناب المفتش ، ادع لى البواب وزوجته فلابد من استجوابهما .

وكان البواب رجلا فى الستين من عمره على حين كانت زوجته دونه بخمس سنوات .

وقال مسيو فور مرى يسائل البواب .

— انك لم تصب بأذى ؟ أليس كذلك ؟

— كلا . ياسيدى . لقد فزعت حقاً ولكن لم يلحقنى أى سوء .

فانبرت زوجته تقول .

— لم يلحقنا أى سوء .! أليس من العار ألا تتمكن امرأة مثلى من أن تنـام فى سلام . ! لو ان البوليس عرف كيف يؤدى واجبه لما وقع هذا الحادث !

فقال مسيو فورمرى مقاطعا:

— وهل بوغت أثناء نومك ؟ وهلا سمعت شيئاً أو رأيت شيئا ؟

— ماسمعت أو رأيت شيئاً

— أما سمعت وقع أقدام فى الحديقة ؟

فانبرت زوجتة تقول :

— وكيف يمكن أن نسمع مايجرى فى الحديقة ونحن فى غرفتنا . ؟

— ألم تسمع أية ضجة عند الباب الأمامى ؟

— كلا

— اذن فلم تسمع أية ضجة طول الليل ؟

— بل ضجة عقب تكميمنا .

فقال مسيو فورمرى :

— هذا شىء له أهميته . ! مانوع هذه الضجة ؟

— انها خبطات متتالية ووقع أقدام فى الغرفة

— أية غرفة ؟

— أتعرف التى فوق رؤوسنا . أعني قاعة الاستقبال الكبرى ؟

أما سمعت صوتا يدل على وقوع عراك . مثلا صوت جسم يسحب على الارض أو صرخات أو أى شىء من هذا القبيل ؟

فتبادل البواب النظرات مع زوجته ثم أجابا سلباً

وسكت مسيو فورمرى برهة ثم عاد يسألهما :

— كم مضى عليك فى خدمة مسيو مارتان ؟

— أكثر من عام

ونظر قاضى التحقيق فى الملفات التى أمامه ثم قال مخاطباً البواب :

— لقد سبق أن حكم عليك مرتين ؟

— نعم ياسيدى ولكن ..

غير أن زوجته قاطعته بقولها:

— إن زوجى رجل أمين ياسيدى ويمكنك أن تسأل مسيو جورناى مارتان .

فقال مسيو فورمرى فى غضب :

— أصمتى أيتها المرأة .لقد حكم عليك فى المرة الأولى بالسجن يوما واحداً وفى المرة الثانية بالسجن ثلاثة أيام .

فقال البواب مجيباً :

— ولكنها كانت تهماً شريفة ياسيدى !

— تهما شريفة . !

— نعم . ففى المرة الأولى حوكمت لأنى هتفت مناديا وسط فريق من العمال : « فليحى الاضراب »وكنت إذ ذاك فى خدمة مسيو جينليس

— زعيم الحزب الاشتراكى ؟

— نعم ياسيدى . وفى المرة الثانية حوكمت لأننى اعتديت على البوليس وكنت إذ ذاك فى خدمة مسيو رابوتين وكيل الحزب الملكى

فابتسم مسيو فورمرى وقال :

— اذن فقد كنت تدافع عن مبدأين سياسين متناقضين؟!

فقال البواب فى سذاجة :

— إن مبدأى ياسيدى هو مبدأ من أكون فى خدمته

وبعد أن انصرف البواب وزوجته قال مسيو فورمرى:

— انهما صادقان فى كل مايرويان . .

والآن هيا بنا ياسيدى الدوق نفتش المنزل ونبحث عن أثر قد يهدينا إلى اللصوص .

الفصل العاشر

غادر المسيو فورمرى القاعة وفى رفقته المفتش والدوق كارميراس . ومضى يفتش الغرف المختلفة وينقب فيها عن الآثار تنقيباً دقيقاً . ولقد أمضى فى مخدع فيكتوار وقتاً طويلا ولاحت أمارات القنوط على وجهه إذ لم يهتد إلى بقع من الدماء تؤيد ماذهب اليه من أن المرأة قد قتلت . ولكنه وجد بعض العزاء فى أن يعلل الأمر بأن اللصوص ربما قتلوها خنقاً فكان ذلك السبب فى عدم وجود شىء من الدم على الأرض أو الفراش.

وكان كلما أبدى مسيو فورمرى رأيا سارع المفتش إلى تأييده والتأمين على مايقول حتى اعتقد القاضى أن هذا المفتش رجل ذكى نشيط !

ثم هبطوا إلى الحديقة ووجدوا عند أسفل السلم الخشبى آثار أقدام كثيرة قد اختلط بعضها ببعض حتى غابت معالمها .

ولما مضوا إلى الممر الذى يقع بين الحديقة والبيت الذى يجرى بناؤه وجدوا عنده كوما من الجير ولـكن آثار الأقدام عنده كانت لـكثرتها كسابقتها متداخلة الرسوم والحدود .

وفى الوقت الذى كان فيه مسيو فورمرى ورفاقه منهمكين فى هذا البحث كان هناك رجـل يهبط الدرج فى قصر مسيو جورنای مارتان نازلا من الطابق الثانى إلى الأول .

وكان هذا الرجل عادى المظهر لا شخصية له وتتراوح سنه بين الأربعين والخمسين . وما كان هذا الرجل يمتاز إلا بشىء واحد هو تلك النظرات الحادة القوية التى تنفذ إلى أعماق القلوب وتستشف مافيها .

أما هذا الرجل فلم يكن سوى المفتش جوشارد رئيس قسم البوليس السرى فى ادارة الأمن العام وعـدو أرسين لوبين اللدود .

ولما رآه الشرطى الواقف بباب قاعة الاستقبال حياه وهو يقول :

— هل أخطر مسيو فورمرى بقدومك يامسيو جو شارد . ؟

فقال جوشارد فى صوت رقيق ووديع :

— كلا . كلا . لا ضرورة تدعوا الى هذا باية حال .

ثم دخل إلى قاعة الاستقبال وأخذ يدير فيها عينيه فقال الشرطى :

— لقد فتش مسيو فورمرى غرفة الخادمة وهى تقع فى الطابق الأعلى ويمكن الوصول اليها بواسطة هذا السلم .

ولـكن جوشارد قاطعه بقوله :

— شكراً لك ! لقد كنت فيها وإننى الآن هابط منها

فبدت أمارات الأعجاب فى وجه الشرطى وقال :

— مسيو جوشارد ! إنك أذكى وأبرع عشر مرات من جميع قضاة التحقيق مجتمعين .

فقال جوشارد باسما :

— يحسن بك ياصديقى أن تكتم هذا الرأى فى سرك اذ يسوء الـكثيرين اذ يسمعوه منك .

وأومأ الشرطى الى السلم الخشبى المستند الى النافذة وقال :

— هل رأيت هذا ياسيدى ؟ من الراجح أن اللصوص اتخذوه وسيلتهم إلى دخول المسكن أو الخروج منه .

فقال جوشارد . شكراً لك .

— ويعتقد مسيو فورمرى ألا شأن للوبين بهذه السرقة وأن إنذاره المسيو مارتان بنتيه وتوقيعاته على الجدران كل هذا مزور مدسوس عليه .

فقال جوشارد :

— أيعتقد هذا حقا . ؟

— نعم . ولكن هل من معونة أقدمها إليك ياسيدى ؟

— بلاشك .. احرس باب هذه القاعة ولا تسمح لأحد بالدخول عدا مسيو فورمرى أو المفتش أو الشرطيين السريين بونافنت أو ديوزى .

فقال الشرطى متسائلا

— والدوق كارميراس .؟ هل أمنعه من الدخول ؟

— الدوق كارميراس ؟ أوه . كلا . لا تمنعه من الدخول طبعا .

وما كاد جوشارد يغلق الباب على نفسه حتى استحال مخلوقا كله يقظة وانتباه وحركة دائبة . فأخذ يفحص السلم الخشبي والطاولة الموضوعة الى جوار النافذة والجدار والتوقيعات . ولقد رفع من على الارض الكتاب الذى يغطى أثر القدم . ثم أخذ يقيس المسافة بين هذا الأثر والنافذة .. قاسها أولا بالمتر ثم قاسها على انفراج خطوته .. وكأنما لم تكن نتيجة هذا القياس مرضية لأنه عبس قليلا ثم استغرق فى التفكير .

وبعد هذا ركع على ركبتيه وأخرج من جيبه عدسة مكبرة وأخذ يفحص السجادة بكل عناية .

ثم رفع رأسه قليلا واستقرت عيناه على المدفأة التى يخفيها عن العيون حاجز النيران، وزحف على وجهه ثم عبر القاعة حتى بلغ الحاجز ومد رأسه خلفه ونظر الى المدفأة ثم نهض واقفاً وهو يبتسم .

ومضى على أثر هذا الى قاعة الاستقبال الصغرى وفحص مافيها بنفس العناية ثم رجع الى النافذة التى أسند اليها السلم الخشبي وفحص المصراع المكسور برهة ، ثم أشعل سيجارة واستند الى حافة النافذة وهو يصفر لحناً خافتاً وقد استغرقته الخواطر .

ولبث على هذا عشر دقائق ثم انتبه بغتة على أصوات عند الباب فوثب على عجل إلى حافة النافذة وهبط على السلم الخشبي محتجباً عن الأنظار .

وفتح الباب ودخل مسيو فورمرى قاضى التحقيق يتبعه الدوق والمفتش والشرطى الذى يحرس الباب .

وجال مسيو فورمرى بعينيه فى المكان ثم قال :

— عجبا . ! أين جوشارد !

فقال الشرطى : لست أدرى .! لقد كان فى هذه القاعة . !

فقال مسيو فورمرى فى زهو وخيلاء :

— لاريب انه هبط الى الحديقة بواسطة هذا السلم .! لقد مضى طبعا الى المنزل الجديد . ! انه يترسم خطواتنا وسيجرى نفس الفحص الذى أجريناه . ! لقد كنت مستعداً لأن أوفر عليه هذا العناء . ! إن فى وسعى أن أفضى اليه بكل مايحب أن يعرف . !

فقال الدوق : من المحتمل أن يهتدى إلى شيء أغفلناه !

فعبس مسيو فورمرى وقال فى لهجة حارة :

— هذا بعيد الاحتمال ياسيدى ! بل هذا مستحيل ! إن للمران أثراً كبيراً فى تنمية قوة الملاحظة . وتيقن يافخامة الدوق اننى والمفتش لم ندع شيئا إلا لاحظناه !

وساد الصمت برهة وأخذ مسيو فورمرى يتمشى فى القاعة وقد زوى ما بين حاجبيه وبدت فى سحنته أمارات التفكير العميق .

ثم قال بغتة .

— إنني كلما فكرت فى هذا الأمر أيقنت ألا شأن لأرسين لوبين به ! انها سرقة عادية بسيطة لاغموض فيها ولا إبهام . . أليس هذا هو رأيك ياجناب المفتش ؟

فقال المفتش مؤمنا .

— طبعاً . طبعاً . لاشأن لأرسين لوبين بهذه السرقة .

فعاد مسيو فورمرى يقول:

— وهذا رأى أعرف انه لن يرضى مسيو جوشارد .. ولا سبيل الى اقناعه على أية حال لأن لوبين وهم متسلط على دماغه . نوع من المرض . أو الجنون اذا شئت ! انه يرى أصبع لوبين فى كل شيء !

فقال الدوق متسائلا :
— ولكن ألم يقبض عليه ؟
— كلا انه لم يقبض عليـه ولن يقبض عليه . إن هذا الوهم المتعلق بلوبين يفسد عليه تفكيره ويسد عليه الرأى إلى الطريق الصحيح السليم .
وسكت برهة ثم عاد يقول :
— لقد اختفت فيكتوار .. ولم نهتد إلى مايدل على انها قتلت أو إلى وقوع شيء اقترف بالعنف . ولهذا قد انتهيت إلى رأى هو الصواب بعينه .! ان فيكتوار شريكة اللصوص . انها لم تنم فى فراشها ولكنها شوشت نظامه لكى تضللنا وتخدعنا .
فقال الدوق .
— أتعتقد حقاً أنها شريكة .؟
— وهل ترتاب فى هذا .؟ هيابنا نفتش غرفتها مرة أخرى .
وبرز رأس جوشارد خلف النافذة وسمع الحاضرون صوته وهو يقول:
أرجوك ياعزيزى فورمرى ألا تجشم نفسك هذه المشقة .
فاستدار قاضى التحقيق الى النافذة وقال فى استغراب :
— جوشارد .! أنت هنا.؟
— نعم.انني هنا . !
وصعد الى حافة النافذة ووثب منها الى داخل القاعة .
وبعد أن تم الاتفاق قال الدوق مخاطباً جوشارد :
— لقد ألححت على مدير الامن العام بأن يعهد اليك بهذه القضية لما سمعت عن ذكائك وقدرتك النادرة .
ولكن مسيو فورمرى لم يفسح لجوشارد وقتا للاجابة بل بادره بقوله
— ماذا كنت تفعل على هذا السلم ؟
فأجاب جوشارد فى بساطة :
— كنت أصغى .! كنت أصغى إلى ماتقولون !
اننى أحب دائماً أن أصغى إلى الناس وهم يتكلمون إذا ما كنت منهمكا فى حل طلاسم احدى القضايا . وينبغى أن اهنئك ياعزيزى فورمرى على الطريقة البارعة التى سلكتها فى تحقيق هذه القضية .
فانحنى مسيو فورمرى شاكرا وان كان الشك قد داخله فيما يرمى اليه جوشارد بهذه الكلمات وهل يقولها ساخراً أم جادا .؟
واستطرد جوشارد يقول :
— وان كنت لا أنكر أن هناك شيئا أو شيئين أخالفك فيهما الرأى
فتحاشى فورمرى اثارة هذه النقطة وقال مغيرا مجرى الحديث:
— أمن رأيك اذن أنه لاضرورة لتفتيش غرفة فيكتوار مرة أخرى؟
— نعم لاضرورة لذلك لانني فتشتها بنفسى .
وفتح الباب ودخل البوليس السرى بونافنت وفى يده قطعة من القماش وقال
— لقد عثرت على هذه القطعة على حافة البئر الموجود فى الحديقة وقد عرضتها على زوجة البواب فقررت

أنها قطعة من ثوب فيكتوار

فهتف مسيو فورمرى يقول :

— هذا ما كنت أخشاه .! لقد قتلوها إذن هيا بنا على عجل الى هذا البئر

ومشى الى الباب . ولكن جوشارد لبث جامداً فى مكانه وقال فى هدوء

— أظن انه ليس ثمة مايدعو الى البحث عن فيكتوار فى البئر .

فقال مسيو فورمرى فى انفعال :

— ولكن هذه القطعة المنتزعة من ثوبها .!

فالتفت جوشارد الى الدوق وقال :

— أتعرف ان فى هذا البيت كلبا أو قطا ؟

فصاح مستر فورمرى فى غيظ :

نحن نبحث فى جريمة قتل وأنت تسأل عن الكلاب والقطط . !

فابتسم جوشارد وقال :

— ولكن لهذا السؤال أهمية .

فقال الدوق مجيبا

— نعم أعرف أن فى هذا البيت قطا .

إذن هو القط الذى انتزع هذه القطعة من الثوب ومضى بها إلى حافة البئر . !

فقال مسيو فورمرى وقد احمر وجهه

— هذا رأى مضحك . ! اننا الآن أمام جريمة قتل فارجوك أن تدع المزاح جانبا .

فقال جوشارد فى هدوء ؟

جريمة قتل ومن الذى قتل . ؟

— من الذى قتل ! فيكتوار طبعا . وهل هذا أمر يحتاج سؤالا ؟

فقال جوشارد فى هدوء :

— ولكن فيكتوار لم تقتل . !

— لم تقتل ! إننا لا نعرف شيئا عن هذا .

— ولكننى أنا أعرف . .

فصاح المسيو فورمرى فى حنق :

— أنت . . ! أنت !

— نعم أنا أعرف أن فيكتوار لم تقتل

— اذن كيف تعلل اختفاءها . ؟

فكان جواب جوشارد :

— اذا كانت قد اختفت فلن أحاول أن أعلل الأمر .

— إذا كانت قد اختفت ! ولكنها اختفت طبعا .

— انني لا اشاطرك هذا الرأى . إن فيكتوار لم تختف . !

فكاد فورمرى يخرج عن وعيه وصاح :

— انك لا تعرف شيئا عن هذا . !

— بل أعرف .

— أتريد أن تقول انك تعرف مكانها !

— بلا شك . !

فصاح مسيو فورمرى فى انفعال :

— أتريد أن تقول انك رأيتها . ؟

فأجاب جوشارد فى هدوء :

— نعم لقد رأيتها .

— رأيتها . ؟ متى رأيتها . ؟ متى . . ؟

فسكت جوشارد برهة مفكرا ثم أجاب :

— لقد رأيتها منذ خمس دقائق على الاكثر

فصاح مسيو فورمرى فى غضب :

— دع المزاح ياجوشارد .

— ولكنني لا أمزح .

— ولكنك لم تغادر هذه الغرفة .

— كلا لم اغادرها .

— وقد رأيت فيكتوار . ؟

— نعم رأيتها .

فقال مسيو فورمرى فى صوت متهدج وقد نفد صبره :

— هلا أخبرتنا اذن أين رأيتها . ؟

فأجاب جوشارد فى بساطة .

— لقد رأيتها هنا . فى هذه الغرفة .

— وكيف جاءت إلى هذه الغرفة ؟

— محمولة على مرتبة !

فهاجت ثائرة فورمرى وقال فى غضب :

— انني أكره المزاح فى أوان الجد .

فقال جوشارد

— ولكننى لا أمزح . أنظر .

ومشى صوب المدفأة وأزاح المقاعد المشدودة إلى بعض بالحبال والموضوعة حول حاجز النيران فى شبه نصف دائرة . ثم سحب الحاجز الى ركن الغرفة فانكشف عن مدخل المدفأة .

وعند هذا المدخل رأى الحاضرون مرتبة موضوعة على الأرض • وفوق المرتبة كانت ترقد امرأة نصف وقد أوثق قيادها بحبل أزرق وكم فمها برباط أصفر اللون •

وقال جوشارد

— هذه هى فيكتوار وهى مستغرقة فى النوم ولا عجب فقد خدروها بالكلوروفورم •

وانحني فالتقط من على الأرض منديلا مشبعا بهذا المخدر

وأمر جوشارد بعض الشرطة بأن يحملوا المرأة •

وكان فورمرى قد صعق لهذه المفاجأة التى لم يكن يتوقعها وأراد أن يوارى اخفاقه ويدارى خيبته فالتفت إلى المفتش وقال:

— ألم تفتش المدفأة ؟

— كلا ياسيدى . . .

فصاح مسيو فورمرى .

— هذه غلطة لاتغتفر ! هـذه غلطة لاتغتفر ! كيف أستطيع أن أعمل مع رجال يهملون حتى أبسط الواجبات.

فقال جوشارد مدافعاً عن المفتش .

— هذا سهو ... سهو بسيط .

فقال فورمرى .

— ولكنك لاتنكر بأنه كان من المستحيل على أن أراها .

فقال جوشارد فى بساطة .

-بل كان ممكنا أن تراها بسهولة لو أنك جثوت على ركبتيك كما فعلت أنا .. لقد كانت قدماها بارزتين من تحت الحاجز.

فقال فورمرى .

— ولكن منظر هذا الحاجز لايوحى بأن خلفه شيئاً ما .

— يجب ألا تغتر بالمظاهر فى القضايا التى لارسين لوبين أصبع فيها .

فصاح مسيو فورمرى .

— لوبين ! دائماً لوبين !

وبدت على شفتيه ابتسامة تنطوى على الاستخفاف . ثم قال مخاطباً الشرطى :

— ان فيكتوار لن تستفيق الآن من أثر المخدر فاحملوها الى مخدعها .

فقال جوشارد على عجل .

— بل أى مخدع عدا مخدعها .

فقال مسيور فورمرى مردداً :

— طبعاً . . عدا مخدعها .

ـ وليحرس احد الشرطة باب الغرفة التى توضع فيها ،

فقال مسيو فورمرى :

— طبعاً . . طبعاً

وبعدهذا ساد الصمت برهة فقطعه مسيو فورمرى بقوله :

— والآن يجب أن اتدبر ظروف هذه الجريمة جميعها . . يجب أن أجمع الخيوط كلها فى يدى حتى تهدينى الى اللصوص . . .

وغرق فى التفكير . على حين جعل الدوق كارميراس يرقبه وقد لاحت على شفتيه ابتسامة فهم منها جوشارد ان الدوق لايؤمن بذكاء قاضى التحقيق ولا يحترم نظرياته فى تعليل الحوادث .

لماذا تحسد الرجال الكاملين ؟

إذا كنت ضعيف الجسم أو الشخصية فان ذلك سوف يفقدك فرصاً كثيرة للعمل والسعادة . فان أحداً من أصحاب الاعمال لا يثق فى مخلوق قد أهمل نفسه . والفتيات لا يحببن إلا الرجال الأقوياء الكاملى الاجسام الذين لا يرتبكون ولا يتلعثمون . ولكن لا داعي مع ذلك لأن تنظر بعين الحسد إلى كل رجل كامل الجسم قوى الشخصية فان فى إمكانك أنت الآخر أن تحصل فى أمد قصير على هذا الجسم الجميل وتلك الشخصية الفاتنة الخليقة بفخرك وإعجاب الرجال والنساء على السواء .

كل شىء مشروح فى كتاب الانسان الكامل فى ١٠٠ صفحة كبيرة ترسل الى كل من يطلبها بدون مقابل . فلا تتردد بل انتهز هذه الفرصة العجيبة واملأ هذا الكوبون وأرسله الآن .

معهد الجوهرى للتربية البدنية والعقلية

أرجو أن ترسلوا الى نسخة من كتابكم المجانى الانسان الكامل فى تحسين الصحة وتقوية الجسم والشخصية وعلاج الأمراض المزمنة والعيوب الجسدية والنفسية بالطرق الطبيعية وقد وضعت سطراً تحت مايهمنى مما يلى : النحافة . السمنة . قصر القامة . ضعف الاعصاب . الضعف التناسلى . العادة السرية . الاحتلام . الارق . الهم والكآبة . الخجل . ضعف الذاكرة . الارادة . شرود الذهن . الثقة بالنفس . الامساك . الصداع . القلب . الرئتين . الكبد . الشعر . النظر . الجلد . الدفاع عن النفس . عيوب الوجه .

الاسم .... السن ....

الصناعة .... العنوان .... (شهر زاد)

اكتب باسم محمد فائق الجوهرى ١٠ شارع قنطرة غمره تليفون ٥٠٣٥٩

الفصل الحادى عشر

حين غرق مسيو فورمرى فى خواطره لبث جوشارد يرقبه برهة ثم انسل من القاعـة فى خفة . وبحث الدوق فى جيوبه ثم غمغم يقول:

— أوه.. أين سجائرى.!

وغادر المـكان فى أثر جوشارد

ولما لحق به على الدرج قال يخاطبه :

— سأرافقك يامسيو جوشارد اذا لم يكن لديك مانع

— انى أكون سعيداً برفقتك اذن فان لدى بعض أشياء أحب أن أعرف رأيك فيها . ولقد كان فى وسعنا أن نبحثها فى حضور مسيو فورمرى ولـكن.

فقال الدوق مقاطعاً :

— يحسن بنا ألا نزعج مسيو فورمرى من تفـكيره العميق .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة.

وضحك جوشارد وقال :

— هذا صحيح .! هذا صحيح .!

ولما خرجا الى الحديقة جعل جوشارد يسأل الدوق عن كاروليه وأبنائه وحركاتهم وأوصافهم وحادث سرقة القـلادة .

وقال الدوق أخيراً :

— ألا يجوز أن يكون كاروليه هو ارسين لوبين نفسه ؟

فأجاب جوشارد :

— هذا محتمل . فان لوبين قدير فى التفكير : ولقد التقى به زميلى جانيمارد ثلاث مرات وهو يؤكد لى انه كان فى كل مرة يجد نفسه ازاء رجل لاعهد له به من قبل. رجل قد اختلفت ملامحه وقامتـه عن لوبين الذى يعرفه . ! وما من صورة لدينا عن لوبين الا كانت مختلفة عن سابقتها . ولا غرابة فى هذا فقـد كان لوبين ممثلا عظيما .

ثم أخذ بعد هذا يسأل الدوق عن خدم مسيو جورناى مارتان اذكان يعتقد ان لوبين زعيم عصابة كبيرة قد انبثت فى كل مكان . وانه ليس بعيدا ان يكون بين هؤلاء الخدم بعض أعوان اللص الخطير . بل انه لايبعد أن يكون لوبين نفسه هو أحد هؤلاء الخدم متنكراً .

فقال الدوق معترضاً !

— ولـكن كيف يمكن ان يجمع بين الصفتين ؟ كيف يكون كاروليه وفى الوقت نفسه خادما فى القصر ! ؟

— ولـكننى لم أقل ان كاروليه هو لوبين . ! بل اننى ارجح انه ليس هو لأن سرقة السيارات ليست بالامر الخطير الذى يتولاه لوبين بنفسه بل المعقول أن يكلها الى أعوانه .

ولما فرغ جوشارد من اسئلته قال الدوق

— يخيل إلى أن الايقاع بلوبين مهمة شاقة ويزيدها صعوبة أنـكم تعرفون أوصافه ولم تقبضوا عليه من قبل

فقال جوشارد على عجل :

— ولـكن سبق أن قبضنا عليه .! لقد قبض عليه جانيمارد مرتين ولـكنه استطاع الفرار فى الاولى وفى الثانية منهما قدم إلى المحـكمة فعلا. ولـكنه ضلل المحـكمة وأثبت لهم أنه ليس لوبين فأمروا باطلاق سراحه على الفور .

— هذا غريب .؟ ولـكن ألا يجوز أنكم كنتم مخطئين . ؟

— كلا .. لأنه على أثر مغادرته دار المحـكمة صافح جانيمارد وهمس فى أذنه ببعض تفصيلات لا يعرفها الا لوبين وجانيمارد . . ! ولـكل لص كبير موضع ضعف .! ولوبين يحب النساء الجميلات ولقد كانت المرأة هى سبب وقوعه فى أيدينا مرة بعد أخرى . ولقد استخدم جانيمارد وشارلوك هولمز امرأة يحبها لوبين للايقاع به .

فقال الدوق

— ولـكنها خدمة وضيعة .!

فقال جوشارد فى صوت ينم على العجب !

— وضيعة . ! ان كل شىء مباح فى مطاردة هذا اللص الخطير

وحدج جوشارد الدوق بنظرة فاحصة فقال هذا

— نعم . نعم كل شىء مباح .. وماذا من شأن هذه المطاردة .؟

— لقد قبض جانيمارد على لوبين ولـكنه فر بعد عشر دقائق

— والمرأة التى وشت به ؟

— لقد انتهى إلى أخيراً أنها ماتت .

فقال الدوق .

— اكبر ظنى أن لوبين وأمثاله لا يمكن أن يلقوا فى هذا العالم امرأة تحبهم؟

فهز جوشارد رأسه فى إنـكار وقال :

— بل الحقيقة على نقيض هذا يافخامة الدوق . . لقد عرض على بعض النساء من الطبقات العاليـة ألوفاً من الفرنـكات لـكى أمهد لهن سبيل اللقاء بلوبين .. ! انهم يعدونه بطلا ..! ويهيمون به غراماً . !

وكانا فى خلال هذا يطوفان بالحديقة وتأمل جوشارد آثار الأقدام الظاهرة فى أسفل السلم الخشبى المستند إلى النافذة ثم مضى الى البيت الجديد ونظر إليه برهة ودار حوله .

ثم التفت الى الدوق وقال :

— والآن فلنعد الى القصر فقد رأيت كل ما أبتغى .

ولما رجعا الى القصر وجدا مسيو فورمرى مازال فى القصر غارقاً فى خواطره .!

وقال مسيو فورمرى :

— والآن ... كيف نقل اللصوص هذه المسروقات الثقيلة .. ؟ فى مركبة طبعاً ... فلنبحث إذن فى الجهات المجاورة عمن يكون قد شهد المركبة وهى واقفة بالباب .

فقال جوشارد :

— لقد أمرت ديوزى أن يقوم بهذه التحريات .

— حسناً . . حسناً ... وهل اهتديت الى الـكثير من الآثار فى فحصك القصر أو الحديقة .. ؟

فأجاب جوشارد فى اقتضاب :

— نعم . . لقد اهتديت الى كثير من الآثار .

فقال مسيو فورمرى فى شىء من التهكم :

— آثار لوبين طبعاً . . ؟

— كلا ... ليس لوبين .

فأشرق وجه قاضي التحقيق وقال :

— يسرنى انك عدلت عن رأيك وانتزعت نفسك من هذا الوهم المتسلط عليك .

فقال جوشارد فى هدوء .

ولكنى لم أعدل عن رأيي .

وسمعت جلبة خارج الباب ودفع على مصراعيه فى عنف ودخل مسيو جورناى مارتان فأجال نظره فى المكان وهتف يقول فى غضب :

— اللصوص .! الأنذال .! الأوغاد .!

ثم تهالك على أحد المقاعد وطفق يبكى .

ودخلت فى أثره جرمين وسونيا وأقبلت عليه ابنته تقول :

— لاتبك يا أبتاه . !

ثم استدارت إلى الدوق وقالت فى غضب :

— جاك . ان دعابتك عن موعد القطار سخيفة لاتحتمل .. كيف تحملنا على مغادرة القصر إلى المحطة تحت سيول المطر وأنت تعلم انه لايوجد قطار فى الساعة التاسعة

فقال الدوق متسائلا: عم تتحدثين؟ ألايوجد قطار فى الساعة التاسعة ؟

— بالطبع لا.. إن دفتر المواعيد قديم . ! لقد مضت عليه سنوات . ! ان مزاحك سخيف ياجاك .

— ولكننى لم أكن أمزح .! الواقع انه لم يخطر ببالى أن أنظر الى التاريخ . لقد ألفت أن أرى هذا الدفتر فى الدرج إلى جوار صندوق سجائرى فاسرعت أتصفحه دون أن أتبين التاريخ .

فقالت سونيا : لقد قلت انها كانت غلطة إذ ليس معقولا أن يعمد الدوق الى مثل هذه الدعابة .

فابتسم الدوق لها شاكراً .

وقالت جرمين :

— انها اذن غلطة تدل على الغباوة .

وهب مسيو مارتان واقفاً وزعق يقول :

— صورى. تحفى. نفائسى .! لقد كانت قيمتها مائتى الف فرنك على الأقل

فقال مسيو فورمرى محاولا أن يسرى عنه .

— كن مطمئناً ياسيدى فسنعيد اليك كل شىء . .

— حقاً .

— كن مطمئناً. ومن حسن حظك أن اللصوص لم يمسوا تاج الأميرة دى لامبال

فقال مسيو مارتان :

— وهل أنت موقن من هذا ؟

فقال الدوق مجيباً :

— انهم لم يمسوا هذه الخزانة

فقال المليونير على عجل:

— ولكن هذه الخزانة فارغة

فصاح الدوق فى عجب !

— فارغة ؟ الآن فقد سرقوا التاج .!

— .. كلا فان التاج موضوع فى .. ولكن هل اقتحموا مخدعى.؟

فأجاب مسيو فورمرى :

— كلا .. إن الظواهر تدل على أنهم لم يمسوا إلا قاعتى الاستقبال

فابتسم المليونير وقال .

— ان التاج فى الخزانة الموجودة بمخدعى . ولها مفتاحان أحدهما فى جيبى والآخر فى هذه الخزانة .

فقال مسيو فورمرى:

— إذن أهنئك بأنهم لم يسرقوا التاج

فصاح المليونير حانقاً :

— نعم لم يسرقوا التاج ولكنهم سرقوا تحفى ونفائسى.. الأوغاد .! الأنذال .! السفلة . !

الفصل الثانى عشر

لبث الحاضرون يرقبون مسيو جورناى مارتان وهو ثائر النفس بادى الهياج يسب اللصوص ويلعنهم . وعلى حين بغتة هدأت ثورته وخبط كفا بكف وقال فى أسى :

— وكاروليه ! لقد ظننته ينوى حقاً أن يبتاع السيارة ! هذه خسارة أخرى مقدارها الف جنيه ! ياللخسارة !

وحين سمع الدوق هذه الكلمات كاد أن يغلبه الضحك على أمره ولكنه استدار على عقبيه وغادر القاعة على عجل الى الغرفة المجاورة وهناك انفجر يضحك ملء شدقيه :

وقال مسيو مارتان :

— جوشارد ! أتظن انك اهتديت الى أثر اللصوص ؟

فانبرى مسيو فورمرى يجيب عنه :

— الآن يحسن أن نتابع التحقيق .

— وجلس الى المكتب وقد نشر أمامه أوراقا يدون فيها بعض الملحوظات وقال يخاطب مسيو جورناى مارتان:

— هل حدثت سرقات أخرى فى قصرك قبل هذه السرقة؟

— طبعاً . فمنذ ثلاث سنوات أنذرنى هذا الوغد لوبين ..

فقال مسيو فورمرى مقاطعاً :

— اننى أعرف كل شىء عن هذه السرقة ولكنني قصدت أن أسألك عن سرقات أخرى .

— نعم . لقد سرقت بعض أشياء من ابنتى

فانبرت جرمين تقول :

— نعم . فقد سرقت مرتين أو ثلاثا فى خلال الثلاث السنوات الأخيرة

— كان ينبغى إذن أن تبلغوا البوليس . وفيمن ترتابون ؟ فى فيكتوار طبعاً ؟

فقالت جرمين على عجل :

— كلا . ان فيكتوار بعيدة عن الريب لأن السرقتين الأخيرتين وقعتا فى قصر كارميراس فى وقت كانت فيه فيكتوار موجودة فى باريس .

وعبس مسيو فورمرى قليلا لأنه كان يبغى أن يكون جواب جرمين مؤيداً اتهامه لفيكتوار .

— ومتى بدأت هذه السرقات ؟

— منذ ثلاث سنوات تقريبا

ففكر مسيو فورمرى قليلا ثم قال :

— من المهم جداً أن نعرف من من الخدم التحق بخدمتكم قبل وقوع السرقة الأولى !؟

فقالت جرمين مجيبة :

— لقد التحقت فيكتوار بخدمتنا منذ عام واحد .

فقال مسيو فورمرى فى قنوط .

— عام واحد فقط .؟ وماهو آخر شيء سرق منك ؟

— دبوس من ألماس .. وهذا بخلاف القلادة التى كادت أن تسرق لولا أن فطن الدوق إلى الأمر .

فقال القاضى :

— وأين هذه القلادة .؟ اننى أريد أن اراها .

فالتفتت جرمين إلى الدوق وقالت :

— أين القلادة ياجاك .! انها معك .؟

— معى .! كلا . انها ليست معى .

فقالت جرمين فى شيء من القلق :

— ليس معى إلا العلبة فارغة .!

فقال الدوق فى دهش جلى :

— ليس معك إلا العلبة فارغة . ؟

— نعم . فعند عودتنا من المحطة ذكرت اننى نسيت القلادة على المكتب ولكنني وجدت العلبة فارغة فظننتك قد أخذتها .

فقال قاضى التحقيق مخاطباً الدوق :

— ألا يجوز أن يكون برنارد كاروليه عندما دس العلبة فى جيبه قد أخرج منها القلادة فلما استرددتها منه كانت فارغة . ؟

فهز الدوق رأسه وأجاب قائلا :

— كلا .. لاننى فتحتها و نظرت فيها فما هذه الخدعة لتجوز على؟

فقال المليونير :

— أكبر ظنى انها قد سرقت اذن . !

فقال الدوق :

— لا أظن هذا وأرجح أن ايرما أو سونيا أحضرتها معها .

فقالت جرمين :

— لا أظن أن سونيا هى التى أخذتها لأنها ذكرت لى أنها رأتك وأنت تضعها فى جيبك.

— فلنسأل ايرما إذن .

وذهب المفتش يدعوها فلما جاءت كان الذعر باديا فى عينيها والانزعاج ماثلا فى وجهها .

وقالت جرمين تسائلها : ايرما ... أين ...

ولكن مسيو فورمرى قاطعها بقوله : عفواً ... اننى أنا الذى أتولى التحقيق .

ثم تحول الى ايرما وقال : لا تخافى يامدموازيل ايرما ... اننى أريد أن أوجه اليك سؤالا أوسؤالين ... هل أحضرت معك الى باريس القلادة التى أهداها الدوق كارميراس الى سيدتك اليوم . ؟

— كلا ياسيدى ... كلا ياسيدى ... انني لم أحضرها .

— أموقنة أنت من هذا . ؟

— نعم ياسيدى ... اننى لم أر القلادة مطلقا ... ألم تتركها المدموازيل جرمين على المكتب . ؟

— ومن أين عرفت هذا ... ؟

— لقد سمعت المدموازيل جرمين تذكر هذا ، ويحتمل ان تكون المدموازيل كريتشنوف قد وضعتها فى حقيبتها .

فقال الدوق على عجل :

— ولماذا تضعها المادموازيل كريتشنوف فى حقيبتها ؟

— لكى تحضرها الى باريس للمادموازيل جرمين

— وكان جوشارد إلى هذه اللحظة واقفاً خلف فورمرى وقد لاحت عليه أمارات الخمول ولكنه انتعش بغتة وبدأ الاهتمام فى عينيه وقال : وما الذى يجعلك تميلين إلى هذا الظن . ؟

— لاشىء ولكن رأيت المادموازيل كريتشنوف واقفة الى جوار المكتب فظننت أنها ستأخذ القلادة .

فقال مسيو فورمرى :

— وهل كانت القلادة اذ ذاك على المكتب .؟

فأجابت ايرما بقولها : نعم .

وساد الصمت برهة ثم قال مسيو فورمرى :

— كم مضى عليك فى خدمة مسيو مارتان .؟

— ستة شهور ياسيدى

— حسناً . أشكرك .. يمكنك أن تنصرف الآن

فغادرت الغرفة وقد لاحت عليها أمارات الارتياح

وقال مسيو فورمرى :

— والآن يجب أن أستجوب مادموازيل كريتشنوف

فقال الدوق :

— ان المادموازيل كريتشنوف فوق الشك

فقالت جرمين مؤيدة :

— طبعاً .. طبعاً ..

فقال جوشارد .

— كم مضى عليها فى خدمتكم .؟

فعقدت جرمين مابين حاجبيها وقالت :
— دعنى أفكر .. ثلاث سنوات تقريباً
فقال مسيو فورمرى :
— أى منذ الوقت الذى بدأت فيه السرقات . ؟
— نعم .
فالتفت قاضى التحقيق إلى المفتش وقال له :
— استدع المادموازيل كريتشنوف .
فقال الدوق وهو يسرع إلى الباب :
- سأذهب لادعوها بنفسى فاننى أعرف أين أجدها
فصاح جوشارد فى أثره :
- عفوا يافخامة الدوق عفوا . ولكن المفتش سيدعوها
فاستدار اليه الدوق وقال فى صوت غاضب :
— معذرة ولكن هل تريد أن . .
فاسرع جوشارد يقول :
— أرجوك ألا تغضب ياصاحب الفخامة . ولكن مسيو فورمرى يشاطرنى رأيى
فقال مسيو فورمرى على عجل :
— نعم . نعم . إن لنا نظاما خاصا فى استدعاء الشهود ولا أحب أن نشذ عنه .
فهز الدوق كتفيه وقال بلا مبالاة :
— كما تشاءون . !
ورجع إلى مكانه .
وأقبل المفتش فى هذه اللحظة وقال :
— ستحضر المادموازيل كريتشنوف بعد لحظات . لقد كانت خارجة .
فقال مسيو فورمرى فى دهش .
— كانت خارجة . . ؟ أمعنى هذا انك تبيح الخروج لمن فى البيت . . ! ؟
— كلا ياسيدى .. ولكننى أعني انها كانت تسأل عما اذا كان خروجها مباحا
فاستدنى المسيو فورمرى المفتش منه وهمس فى أذنه فى صوت خافت :
— تسلل الى غرفتها وفتش حقائبها .
فقال جوشارد فى صوت خافت .
— لاضرورة لهذا ..
فعاد مسيو فورمرى يقول فى أثره :
— نعم لاضرورة لهذا .. لاضرورة لهذا ..
وفتح الباب ودخلت سونيا .. وكانت ماتزال فى ثياب الخروج ومعطفها على ذراعها . وجعلت تدور بعينيها فى المكان فى شيء من الدهش :
واستقرت عينا الدوق على وجهها .. لم تكن نظرته اليها نظرة عادية بل كانت نظرة غامضة متفرسة . كان يريد

أن يقرأ فى وجهها ما تنطوى عليه نفسها . ولما تقابلت عيونهما غضت سونيا من بصرها .

وقال مسيو فورمرى يخاطبها :

— اننى أريد أن أوجه اليك بضع أسئلة صغيرة

فانبرى جوشارد يقول :

— أتسمح لى بان أستجوبها .؟

وكان فى لهجته ماجعل مسيو فورمرى يذعن بلا تردد

وقال جوشارد يخاطبها .

— مادموازيل كريتشنوف .. هل رأيت القلادة التى أهداها الدوق بالامس الى المادموازيل جرمين .؟

— نعم رأيتها .

— لقد سرقت .. !

— سرقت . . ! أموقن أنت من انها سرقت . . ؟

وكان صوتها ينم على الدهش والانزعاج .

— بلاشك ... وقد انتهينا بعد دراسة ظروف هذه السرقة إلى أن السارق — ليقى الشبهات عن نفسه — قد دس القلادة فى حقيبة شخص من أهل البيت .

فقالت سونيا على عجل:

— إن حقيبتى فى مخدعى وهاك المفتاح .

ولكى يسهل عليها أن تخرج المفتاح من حقيبة يدها وضعت معطفها على حافة المقعد ، ولكنه زلق وسقط على الأرض عند قدمى الدوق .

وانحنى الدوق ليرفع المعطف من على الأرض .

لقد كان الدوق طول الوقت يتفرس فيها ، وقد قرأ فى وجهها وعينيها أشياء كثيرة ، فعند ما انحنى ليلتقط المعطف مد أصابعه فى خفة الى أحد جيوب المعطف فانطبقت على شىء ملفوف فى ورقة ، وأخرج هذا الشىء ووضعه فى جيب سترته .

ولم يفطن أحد الى مافعل الدوق ، إذ كانت العيون كلها مستقرة على سونيا وهى تخرج المفتاح من حقيبتها فضلا عن أن الدوق أخفى حركته بأن توارى خلف مسند المقعد وخلف المعطف أيضا .

وقدمت سونيا المفتاح إلى جوشارد ، ولكنه رده بقوله :

— لاضرورة لتفتيش حقائبك ... ولكن لديك شىء آخر يمكن أن يفتش . . ؟

فقال جوشارد يسائلها :

— أكان فى نيتك الخروج . . ؟

— نعم . إذ أريد أن أبتاع بعض الحاجات .!

فقال جوشارد مخاطبا قاضى التحقيق :

— هل لديك مانع يامسيو فورمرى من خروج المدموازيل كريتشنوف ؟

— كلا . لا مانع لدى . يمكنها أن تخرج اذا شاءت .

واستدارت سونيا لكى تغادر المكان ولكن جوشارد بادرها بقوله :

— لحظة واحدة . ! أى شىء فى حقيبة يدك هذه ؟

— لاشىء سوى منديلى ونقودى .

ومدت اليه يدها بالحقيبة وقد فتحتها فالقى جوشارد نظرة سريعة على الحقيبة دون أن يمسها وقال :

— لاضرورة للبحث فى هذه الحقيبة فما أظن الجرأة تبلغ بالسارق إلى هذا الحد .

ومشت سونيا إلى الباب ودنت من المقعد الذى وضعت معطفها على حافته .

والتمعت عينا جوشارد ببريق الظفر والابتهاج وأسرع اليها وقد مد يديه وهو يقول :

— اسمحى لى .

فظنته سيعينها على ارتدائه فقالت :

— كلا .. اننى لن أرتديه . شكراً .

ولكنه أجابها بقوله :

— كلا .. ولكن يحتمل أن أحداً . هل فتشت جيوب معطفك .؟ هذا الجيب مثلا فاننى أراه منتفخاً .

وأومأ إلى الجيب الذى كانت فيه اللفافة التى أخرجها الدوق سراً ووضعها فى جيبه .

فتراجعت سونيا إلى الخلف وقد بان الذعر والقنوط فى عينيها ودارت بنظرها فى أرجاء الغرفة كأنما تبحث عن منفذ للنجاة . وصاحت فى صوت مختنق :

— هذا أمر لايحتمل .! يلوح لى انك تشتبه فى .!

وشدت بيدها على الجيب كأنما تريد أن تحول دون جوشارد وتفتيشه .

فقال جوشارد :

— معذرة ياسيدتى ولكننا قد نضطر فى بعض الاحيان .

فانبرى الدوق يقول فى صوت لطيف :

— مادموازيل سونيا . اننى لاأرى مايدعو إلى اعتراضك على ذلك .. هذه مجرد رسميات .

فقالت سونيا فى اضطراب :

— ولكن ... ولكن ..

ونظرت الى الدوق مستنجدة فقال هذا فى صوت جلى النبرات :

— ليس هناك مطلقاً مايدعو الى الخوف !

فتركت سونيا المعطف لجوشارد يفعل به مايشاء فدس هذا يده فى الجيب المنتفخ وقد لاحت أمارات الظفر فى عينيه ولكنه أخرجها فارغة وقد شاع اليأس فى وجهه وغمغم يقول :

— لاشىء .. لاشىء ..

ونظر الى يده الفارغة كأنما لايصدق الأمر

وابتسم فى وجه سونيا وقال معتذراً :

— أسألك المعذرة ياسيدتى!

ورد اليها معطفها فمشت الى الباب ولكنها ترنحت قليلا فاسرع اليها الدوق وأسندها وقال فى صوت عطوف :

— هل سيغمى عليك؟

فغمغمت تقول :

— كلا . شكراً لك . لقد أنقذتنى فى الوقت المناسب

وارتفع صوت جوشارد وهو يقول :

— اننى آسف لما حدث .

فقالت سونيا مجيبة :

— شكراً لك . اننى بخير الآن

وغادرت الغرفة .

وقال مسيو فورمرى مخاطبا جوشارد :

— لقد ارتكبت غلطة شنيعة ياجوشارد .

فلم يدافع جوشاردعن نفسه وانما قال :

أصدر أمراً مشدداً بمنع أى شخص من مغادرة هذا البيت .

— ماعدا سونيا طبعا ؟

فقال جوشارد فى صوت رنان :

- بل هى التى أريدأن أمنعهامن الخروج قبل سواها

فقال مسيو فورمرى فى سخرية :

— لست أدرى إلام ترمى ياجوشارد . . إلا إذا كنت تعتقد أن سونيا هى أرسين لوبين متنكرا .

فضحك جوشارد وقال :

— نكتة ظريفةحقا . !

وغادر الجميع القاعة ليفتشوا ما بقى من غرف البيت ولكن الدوق لم يصحبهم وإنما مشى إلى النافذة بعد أن أوصد الباب وأخرج من جيبه اللفافة التى كانت فى معطف سونيا .

وحين فض الورق انكشف عن القلادة المسروقة .

الفصل الثالث عشر

نظر الدوق إلى القلادة وقد غامت عيناه حزنا وأسى وغمغم يقول :

— هذا غريب ! هذا غريب !

واستند إلى حافة النافذة وأخذ يطل على الحديقة وقد غرق فى خواطره .

وفتح الباب فى خفة وانسلت سونيا الى الداخل ووجهها ممتقع حتى حاكى وجوه الأموات . وغمغمت تقول فى صوت أجش مضطرب :

— إصفح عنى . ! إصفح عنى !

فقال الدوق فى صوت قلق :

— أنت . . لصة . ؟

ونظر إلى باب القاعة فى انزعاج .

وتأوهت سونيا حزنا فقال الدوق :

— ينبغى أن تنصرفى

ففركت يديها فى اضطراب وقالت فى صوت حزين :

— آه . .! انك لاتريد أن تتحدث الى بعد الآن . !

— ان جوشارد يرتاب فى كل شىء وفى كل مخلوق ومن الخطر العظيم أن نتبادل الحديث هنا .

— أوه .. ! انك الآن تحتقرنى بلاريب .

فقال الدوق وقد اشتد انزعاجه .

— بالله عليك خفضى من صوتك ..! لاتنسى ان جوشارد بالمرصاد

فصاحت سونيا فى صوت بائس :

— اننى لاأبالى .. ! لقد فقدت عطف الشخص الوحيد الذى يهمني أمره فماذا يعنينى بعد ذلك من حياتى .!

فقال الدوق :

— يحسن بنا أن نتبادل الحديث فى مكان آخر غير هذا . !

— كلا .. كلا .. بل يجب أن نتكلم هنا .. يجب أن تعرف الحقيقة .. كل شيء ..! كل شيء ..! ياالهى ..! كيف أستهل كلامى .. ؟ انهـا .. أعنى جرمين .. إنهـا تقتنى كل شيء .. بالأمس .. أمامى .. رأيتك تهديها هذه القلادة .. ولقد كانت فخورة مزهوة بها .. ورأيت هناءها .. ورأيت سعادتها .. ولهذا أخذتها .. لهـذا سرقتها ..! اننى أريد أن أكون أنا أيضاً سعيدة .. لماذا أحرم من الهناء ويستمتع به سواى .. لماذا تقتنى هى كل الجواهر وكل المتعات ولا أنال أنا شيئا منها ..! أهذا عدل .. ! أهذا انصاف .. ! اننى أكرهها .. ! اننى أمقتها .. !

وكانت المسكينة ترتعد وهى تطلق هذه الكلمات متهدجة متلعثمة . وقال الدوق يسائلها :

— ماذا دهاك ياسونيا . ؟

فصاحت فى قنوط !

— نعم .. اننى أكره جرمين .! اني امقتها . كان ينبغى ان أكتم هذا عنك .! ولـكن أنت السبب فى اطلاق لسانى أنت هو الرجل الذى .. أنت هو الرجل الذى . .

وبترت جملتها لاتتمها وقد تضرجت وجنتاها احمراراً . ولم يغب ماترمى اليه عن فطنة الدوق فغمغم يقول فى صوت رقيق

— سونيا . .

فقاطعته بقولها :

— اننى أعرف أن ذنبى لايقبل صفحاً ..! وهذه ليست سرقتى الأولى . ! إنها العاشرة ..! ولكن هناك شيئا واحدا أحب منك أن تعرفه !. وأن تؤمن به و .. صـدقنى اننى مذ رأيتك .. مذ عرفتك . . كففت عن السرقة .. وما امتدت يدى الى شيء الا بالأمس .! لقد فقدت صوابى حين رأيتك تعطيها هذه القلادة أمامى فانتزعتها منها وحرمتها منها !

فقال الدوق فى عطف !

— اننى اصدق كل ماتقولين .

فأطلقت تنهيدة تدل على الارتياح وانفرجت أساريرها ولـكن وجهها مالبث أن اكفهر وهتفت فى صوت مختنق:

— انك تشفق على . . ولـكنك تحتقرنى . ! انك تحتقرنى . !

فقال الدوق :

— اننى لاأحتقرك .! ألا تصدقيننى .! اننى أفهم الدوافع التى حفزتك الى ذلك .

— اصغ إلى ..هل كابدت الوحدة فى حياتك .. هل جربت الجوع .! هل عانيت الشقاء.! لقد هبطت هذه المدينة الـكبرى فقاسيت وتعذبت .. الفقر .. والوحدة . والجوع .. والبؤس .. كان الخبز أمامى فى الحوانيت

خبز شهي يسيل له اللعاب .. ولكن لو أنني مددت يدى فاختطفت رغيفاً لزج بى فى السجن . !

وفى أحد الايام كدت أموت جوعا .! الخبز أمامى ولا أستطيع أن أمسه .! وأفقدنى الجوع صوابى فخرجت أهيم فى الطرقات على وجهى ولقيت رجلا يريد امرأة يقضى معها سهرته فمضيت فى رفقته الى مسكنه .!

وسكتت برهة فقال الدوق :

— استمرى .. استمرى .

— وقدم إلى الرجل طعاما وخمراً .. وكنت سعيدة بذلك .! ولكنه حين أراد أن يطوقنى بذراعيه فزعت وذعرت .! ولكننى انتهزت هذه الفرصة وسرقت نقوده وهربت .! لقد آثرت السجن على أن أجود بعرضى.! وهكذا صرت أسرق كلما أردت أن آكل .! لقد سرقت لأظل امرأة شريفة .!

ثم هزت كتفيها وقالت فى قنوط :

— اما الآن فصرت أسرق لكى أصبح جميلة ! لكى أشبع شهوتى إلى الجواهر !

فقال الدوق فى صوت رقيق :

— ياللطفلة المسكينة .!

فقالت سونيا وهى تبكى :

— هل تفهم ما أقول ! انك طبعا لم تكابد هذه الحياة التى أصفها لك .! ولكنك قد فهمت . قل انك فهمت .

فنظر اليها فى عطف ظاهر وقال :

— ياعزيزتى سونيا ! تيقنى انني قد فهمت ، وصفحت !

فأشرق وجهها و التمعت عيناها وجفت مدامعها . ودنا منها الدوق واراد أن يأخذ بيدها بين يديه ولكنه تراجع بغتة وأرهف أذنيه للسمع وهو ينظر ناحية الباب وهتف بها .

— جففى دمعك .! اننى أسمع وقع أقدام . !

ومسحت سونيا دموعها واستردت سكونها . وفتح الباب فى هذه اللحظة ودخل جوشارد فعبر القاعة اليهما وجعل ينقل نظراته بينهما . وبادره الدوق لكى يقطع عليه خواطره :

— أرجو الا يكون اللصوص قد استدلوا على التاج يامسيو جوشارد . ؟

فأجاب جوشارد

— ان التاج فى أمان ياصاحب الفخامة .

— وهدايا العرس . . ؟

— إنها فى أمان أيضا .

فابتسم الدوق وقال :

— هذا من حسن الحظ .

والتفت جوشارد الى سونيا وقال :

— لقد كنت أبحث عنك ياسيدتى لأنبئك أن مسيو فورمرى قد عدل عن التصريح لك بمغادرة البيت .! إن الخروج غير مباح لأحد من الموجودين .

فقالت سونيا فى صوت يدل على عدم المبالاة :

— حقاً . . ؟

— ونرجوك أن تلزمى غرفتك وسيرسل اليك الطعام فيها .

فصاحت سونيا فى جزع : ماذا تقول ..؟

وجعلت تنظر اليه مرة وإلى الدوق أخرى ، فأحنى الدوق رأسه لها احناءة خفيفة فقالت :

— حسنا ... سألزم غرفتى ...

ولما انصرفت قال الدوق مخاطبا جوشارد :

— ألا ترى ان هذا الأجراء الأخير ينطوى على قسوة لا مبرر لها ..؟ انها طفلة صغيرة ..!

— اننى آسف ياصاحب الفخامة ، ولكن واجبى يحتم على أن أتخذ كل ما أرى من الاحتياطات .

— إيه ... هذا شأنك أنت ..! ولكننى مازلت عند رأيى من أنها طفلة مسكينة وانك أفزعتها حتى كدت تفقدها صوابها .

وهز جوشارد كتفيه وغادر الغرفة ، وأشعل الدوق سيجارة وجلس يدخن .

وعلت من خارج القاعة جلبة شديدة وفتح الباب فى عنف ودخل مسيو جورنى مارتان وفى أثره المفتش وقاضى التحقيق .

فصاح المليونير قائلا :

— انظروا ... انظروا ..! هذى برقية ... برقية من النذل نفسه ... برقية من أرسين لوبين ..!

ومضى يتلوها على الحاضرين وهذا نصها :

« معذرة وألف معذرة عن عدم برى بوعدى فيما يتعلق بالتاج .. لقد كنت على موعد هام حال دونى والاستيلاء عليه .. أرجوك أن تضع التاج الليلة فى غرفتك وسأحضر لآخذه فى الساعة الثانية عشرة ليلا — ارسين لوبين »

فلما انتهى مسيو مارتان من تلاوة البرقية قال الدوق :

— مزاح سخيف !

فصاح المليونير !

— مزاح .. انك دائما تظن كل شىء مزاحا !

وتناول مسيو فورمرى البرقية وهو يقول :

— أخشى أننا لن نستطيع بعد هذا أن نقنع جوشارد بألا شأن لأرسين لوبين بهذه السرقة ! ولكن صدقونى أيها السادة لو أن لوبين هو الذى هاجم البيت بالأمس لعبث بالخزانة الموجودة فى مخدع النوم ولعبث على الأقل بهذه الخزانة وفيها مفتاح الخزانة الأخرى .

ومشى الى الخزانة التى تقوم في ركن من القاعة وقد وضعت أمام باب موصد لا يستعمل . وعالج مقبضها ليثبت للحاضرين أن لوبين لم يمسسها .

فقال المفتش: هذا صحيح ! هذا صحيح !

— فاذا كان لوبين لم يجرؤ بالأمس على سرقة التاج والمنزل خال من الجنود فكيف يجرؤ اليوم وفى كل قاعة جندى ساهر ! هذه البرقية لا تعدو أن تكون مزاحا ! ولكن جوشارد رجل أوهام .. انه ...

واقتضب جملته بغتة واتسعت عيناه اذ وجد أن باب الخزانة قد فتح وخرج جوشارد من داخلها !

وصاح مسيو فورمرى وهو لا يصدق عينيه :

— ماهذا ..! ماهذا ..

فقال جوشارد باسما :

— من الغريب انى سمعت حديثك كله وأنا فى الخزانة . . ! وقد كنت أتوهم أن سمك جدرانها يحول دون الصوت . .

— ولـكن كيف صرت فى داخلها . !

— إن الدخول سهل جدا .

فصاح مسيو فورمرى وقد كاد يفقدهدوءه :

— ولـكن كيف استطعت الدخول . ؟

فقال جوشارد:

— هل ترى هذا الباب الذى وضعت الخزانة أمامه لتحجبه عن الانظار . . لقد فتحت الباب من الغرفـة الأخرى ودخلت الى الخزانة .

— ماذا تعنى . . ؟

— أعنى أن اللصوص انتزعوا ظهر الخزانة . . ! إنها الآن بلا ظهر .. !ومثل هذه الخزائن ذات ظهر ضعيف فى العادة ولهذا تسند إلى الجدران لا إلى أبواب الغرف التى يمكن رفعها أو فتحها . لقـد فتح اللصوص الباب من الغرفة الأخرى فانكشف لهم ظهر الخزانة فحطموه . . !

فصاح المليونير :

— والمفتاح . . ؟ مفتاح الخزانة الأخرى اذ كان موضوعا هنا . . أين هو . . ؟

فعاد جوشارد يبحث فى الخزانة ثم قال :

— إننى لم أجد المفتاح ولـكننى وجدت ماهو خير منه .

— ماذا وجدت .. ؟

فأجاب جوشارد فى هدوء :

— بطاقة أرسين لو بين .

الفصل الرابع عشر

نظر الحاضرون إلى البطاقة فى دهش وعجب عدا مسيو فورمرى الذى ألقى عليها نظرة تنطوى على الاحتقار وقال :

— انها جزء من اللعبة المدبرة لتضليلنا .! هذه البطاقة لا تبرهن على شىء ولا توحى بشىء .

فقال جوشارد فى هدوء :

— نعم . انها لا تثبت شيئا .

فصاح المليونير فى جزع :

— ولـكن هل نسيتم البرقية ! سيسرق التاج حقا .

فقال مسيو فورمرى :

— كن مطمئنا فسنتخذ الاحتياطات اللازمة .

ودخل الخادم ينبئهم بان مائدة الطعام قد أعدت . فقال مسيو فورمرى

— وإذا ما فرغنا من الطعام استجوبت المادموازيل كريتشوف عن السرقات القديمة .

فقال الدوق على عجل :

— انها لاشأن لها بهذه السرقات !

فقال مسيو فورمرى مؤمنا :

— بالطبع لاشأن لها .! ولكن جوشارد هو الذى يصر على استجوابها .

— انكم تخيفونها والمسكينة لاتعدو طفلة مسكينة .

— سأكون رحيما ياصاحب الفخامة وسأترفق بها .

ثم مضوا إلى قاعة المائدة . فلما فرغوا من الطعام انسل جوشارد من المكان وفى أثره الدوق فلما لحق به فى الردهة قال له :

— سأستمر على تتبع ابحاثك وانت تكشف أسرار هذا اللغز .

— انى سعيد بهذا الاهتمام ياصاحب الفخامة .

ومضيا الى قاعة الاستقبال وأوصد جوشارد الباب خلفه ثم التفت الى الدوق وقال :

— أرجو أن يشغل التدخين مسيو فورمرى بعض الوقت حتى أدرس نقطة هامة مازالت مستغلقة على .. كيف غادر اللصوص البيت بمسروقاتهم ؟

فقال الدوق وهو يومىء بيده الى النافذة .

— ولكن أما انتهى الرأى إلى أن هذه النافذة كانت وسيلتهم الى الدخول والخروج ؟

فهز جوشارد رأسه فى انكار وقال :

— هذه فكرة سخيفة قال بها مسيو فورمرى ولم أشأ أن أعارضه . هذا السلم المستند الى النافذة انما وضع عمدا . وما صعد عليه الا من أحضره من المنزل الجديد .

— إذن فما رأيك فى أثر القدم الظاهر في القاعة تحت الكتاب الذى كان ملقى على الأرض ؟

فابتسم جوشارد وقال :

— لقد جلس أحد اللصوص على المقعد ونثر الجير على نعل حذائه ثم وضع قدمه على الأرض فانطبع فوقها الأثر . ثم نفض ماظل عالقا بحذائه من الجير وبعد هذا وضع الكتاب فوق الأثر ليخفيه .

فقال الدوق فى دهش :

— وكيف عرفت كل هذا؟

— الأمر فى غاية من البساطة .. لابد لنقل هذه المسروقات من عدد كبير من اللصوص . فاذا كانوا قد حضروا عن طريق البيت المبنى وتلوثت أحذيتهم بالجير فان ذراته ستظل عالقة بالبساط ولو كنسوه ساعات . . . وقد فحصت البساط فحصا جيداً بواسطة العدسة المكبرة فلم أجد به أثراً للجير ، وهذا دليل على أن أثر القدم إنما صنعت عمداً وغطيت بالكتاب عمداً حتى تظل باقية فيراها قاضى التحقيق وتضله عن الطريق الصحيح .

فهز الدوق رأسه وقال :

— هذا معقول .. ! هذا معقول .. !

— فكيف إذن خرجت اللصوس من البيت بالمسروقات ..! انهم لم يستعملوا النافذة ، وكذلك لم يستعملوا سلم البيت ومنه الى الباب العمومى وإلا لسمع البواب جلبتهم فى الدخول والخروج ، فضلا عن ان المارة الذين لاينقطعون لحظة فى الطريق العام كانوا أحرياء بأن يروا المركبة والمسروقات وهى تنقل ، وأهل هذه الناحية يعرفون أن هذا البيت خال من السكان ، فاذا كان أحدهم قد رأى حركة به فما من شك فى انه كان سيبادر إلى

إخطار البوليس ، فكيف إذن أخرجت المسروقات ..؟ ليس للبيت بعد هذا سوى منفذ واحد .

فصاح الدوق على عجل : المدخنة ... !

فضحك جوشارد وقال : لقد أصبت .

ثم أردف يقول :

— على أن الشيء الذى يحير نى هو فيكتوار ... لماذا وضعوها فى مدخل الموقدة تحت المدخنة ، ولماذا خدروها ..؟ يحتمل انهم قصدوا تضليل قاضى التحقيق ، ولكن يحتمل أيضا انهم قصدوا تنبيهى الى الطريق الذى سلكوه .

فقال الدوق فى دهش :

— قصدوا تنبيهك . . ؟ ماذا تعنى . . ؟

— اعنى أن هذه هى طريقة أرسين لوبين . هذا الرجل يفهمني حق الفهم ويحب أن يعد لى المفاجآت . فهو يدع وراءه آثارا مختلفة تخدع وتضلل مسيو فورمرى وأمثاله لأنه لا يجهل بساطة أذهانهم . وفى الوقت نفسه يترك آثاراأخرى يتخطى أهميتها مسيو فورمرى ولكنه يدعها خصيصا لأجلى حتى أتبين منها السبل التى سلكها . وهى سبل ملتوية معقدة لا تخطر على الأذهان . . إن لوبين يحب أن يداعبنى . . والآن هيا بنا الى المدخنة .

وخطا جوشارد إلى وسط الموقد ورفع عينيه إلى داخل المدخنة وقال :

— إنها أعلى مما كنت أظن . . ! إن ارتفاعها لا يقل عن عشرة أقدام .

وكانت المدخنة مشيدة فى داخل الجدار ويبلغ عرضها نحو ثمانية أقدام . وأمر جوشارد أحد رجاله بأن يحضر له سلما فوضعه داخل المدخنة وارتقاه وقد أشعل مصباحه الكهربائى . وأرسل ضوءه ينير له الطريق وبدت فى الجدار من الداخل فجوة أزيلت حجارتها ثم ردت مكانها على أسلوب غير متقن .

وقال الدوق يحذر جوشارد .

— احذر لنفسك وإلا سقطت بعض هذه الحجارة على رأسك .

وتراجع الدوق إلى الخلف قليلا اتقاء للخطر :

ومد جوشارد يده فدفع هذه الحجارة بعنف فتساقطت داخل البيت المجاور وانكشفت عن ثغرة كبيرة فى الجدار تصل مابين الدارين المتجاورتين . وظل جوشارد يدفع الحجارة ويسقطها صفا بعد صف حتى اتسعت الفجوة لمرور رجل فوثب منها الى داخل البيت المجاور وهو يقول للدوق :

هيا فى أثرى .

وكان المكان الذى هبطا اليه قاعة استقبال كبيرة قد انتثرت فيها المقاعد . وقال الدوق :

— يالها من خدعة . !

فقال جوشارد :

— لقد استعملت هذه الخدعة فى سرقة بعض حوانيت الجواهر إذ يستأجر اللص دكانا مجاوراً لمتجر الجوهرى ثم ينقب الجدار الذى يفصل بينهما . على أن الشيء الذى كاد يضللنى هو أنه ماخطر ببالى أن يحدث اللصوص فى الجدار فجوة كبيرة كهذه تمكنهم من نقل المكاتب الأثرية من خلالها ولكنني الآن على الأثر . وديوزى يقوم بتحرياته بحثاً عن شهود يكونون قد رأوا مركبة عند باب هذا البيت .

وسكت جوشارد برهة ثم قال :

— لقد ارتكبت غلطة . . كان ينبغى أن أرفع هذه الحجارة فى حذر حتى لاأضيع بعض الآثار .
وأخذ يتناولها حجراً حجراً ويصفها فى عناية والدوق يساعده فى ذلك . فلما انتهيا وجد جوشارد على الأرض قطعة من إطار إحدى الصور فتناولها وهو يقول :
— هذا أثر يؤيد ظنونى .
فصاح الدوق
— من المحتمل أننا قد نجد المسروقات ومازالموجودة فى هذا البيت
كلا .. كلا .. إن لوبين سيعرف أننى سأتولى هذه القضية أنا أو جانيمارد ويعرف أننا سنهتدى إلى طريق المدخنة ولهذا لن يبقى المسروقات فى الدار ..
وهبط الى الردهة وكانت طبقات الغبار الكثيف تعلوها وبدت فوقها آثار أقدام كثيرة .
وأخذ جوشارد يفحص السلم درجة فدرجة بعناية كبيرة . وعلى حين بغتة انحنى والتقط باقة صغيرة من الزهر وقال :
— أزهار نضرة .. قطفت حديثاً .
فقال الدوق
— انها أزهار السلفيا .
— نعم .. أزهار السلفيا القرمزية . . والبستانى الوحيد الذى استطاع أن ينتج هذا اللون فى فرنسا إنما هو بستانى مسيو جورناى مارتان فى قصر كارميراس :
اذن فقد حضر اللصوص من كارميراس . !
— ان الظواهر تؤيد ذلك .
— انهم اذن كاروليه وأبناؤه ..؟
فلم يزد جوشارد على ان قال : ربما .
وقال الدوق وهو يخرج علبة سجائره من جيبه.
— هذه الآثار وهى تنكشف لك تدريجياً .. واحداً بعد الآخر .. وتكون حلقة متصلة ..! وهذه الابحاث كل هذا مسل .. مسل للغاية . ! هل لك فى سيجارة . ؟
مانوعها ..؟ كابورال ..؟
كلا .. بل مصرية .. ميرسيه .
— شكراً لك.
وأشعل جوشارد سيجارته واستطرد الدوق يقول:
— فى خلال الربع الساعة الاخير قد كشفت يامسيو جوشارد أشياء كثيرة فعرفت مثلا أن اللصوص أتوا من كارميراس وانهم كاروليه وأبناؤه . وانهم دخلوا الى القصر من هذا البيت وأخرجوا المسروقات منه أيضاً
فهز جوشارد رأسه وقال :
— من المحقق انهم نقلوا المسروقات من خلال الفجوة ومنها الى المركبة من خلال الباب ، ولكننى أستبعد أن يكونوا قد اقتحموا القصر من خلال الفجوة أيضاً ، إذ أكبر ظنى انهم دخلوا الى القصر من باب القصر ذاته .
فقال الدوق :

— الواقع انني كدت أنسى انهم أحضروا المفاتيح معهم من كارميراس .

— ولكن من الذى دفع مزاليج الباب . . ؟ لقد أنبأنى البواب انه أغلق الباب بالمزلاج .

— أتعنى ان لهم شركاء داخل القصر ؟

— هذا لانزاع فيه . . !

ثم ابتسم وأردف يقول :

— انني أرى أن فخامتكم بارع فى الاستنتاج ، وما أرتاب فى أنكم تصلحون بوليسا سريا ... طبعاً بعد شيء من المران .

وفتح جوشارد باب البيت الخارجى وأخذ يفحص الدرج ، فلما انتهى من عمله قال للدوق :

— هيابنا نعود إلى القصر من نفس الطريق الذى سلكناه .

ولما هبطا الى قاعة الاستقبال فى قصر مسيو جورناى مارتان سمعا صوت مسيو فورمرى قاضى التحقيق وهو يدق باب القاعة ويصيح :

— جوشارد ... جوشارد .. ! دعني أدخل ..! ماذا تصنع .! افتح الباب .. !

فلما فتح الباب دخل فورمرى وهو محمر الوجه وصاح به :

— جوشارد . . ! ماذا كنت تصنع .. ؟ ولماذا أوصدت الباب دونى .. ؟ لقد مرت بي ساعة وأنا أدق الباب .. !

— هذا لأننى لم أكن فى الغرفة فلم أسمعك .

— أين كنت إذن؟

فأجاب جوشارد فى هدوء : كنت أتتبع الأثر الحقيقى .

الفصل الخامس عشر

حين سمع مسيو فورمرى جواب جوشارد قال فى دهش :

— الأثر الحقيقى . ؟ ماذا تعنى بهذا . ؟

— دعنى أرك .

وأخذ بيده وقاده الى المدخنة وأراه الفجوة التى تصل بين الدارين ثم أخذا يصعدان السلم حتى اذا بلغ الثغرة هبطا الى البيت المجاور .

وغادر الدوق القاعة وذهب الى لقاء مسيومارتان فى مخدعه . وكان المليونير راقدا على فراشه تلوح على وجهه أمارات الاعياء والقنوط فلما رأى الدوق غمغم يقول فى صوت ضعيف :

— هذه هى الضربة الأخيرة ! لقدفقدت التاج أيضا .

فصاح الدوق فى دهش :

— فقدت التاج .! متى .. ؟

— لم أفقده بعد . . ! انه مازال بالخزانة ولكن من المحقق أن لوبين سيسرقه عند منتصف الليل فهو لايخلف نذيره .

فقال الدوق باسما :

اذا كان مازال فى هذه الخزانة فتيقن أنه لن يسرق .! ولكن أموقن أنت من وجوده فيها .

— هاك المفتاح فتأكد

وفتح الدوق الخزانة واستقرت عيناه على العلبة الجلدية التى تحفظ التاج فى داخلها .

ونظر الدوق الى المليونير فوجده قد أغمض عينيه تعباً فجعل يصفر لحناً خفيفاً وفتح العلبة فأخرج منها التاج وفحصه فى امعان معجباً بدقة صنعه . ثم رده مكانه من العلبة والتفت الى المليونير وقال :

— ألا ترى معى أنه يحسن فى هـذه التيجان القديمة أن تقطع حجارتها مرة أخرى بالطريقة العصرية .! انظر الى هذه الزمردة. انها نفيسة ونادرة .. ولـكن طريقة قطعها تفسد جمالها وتقلل من شأنه .

فصاح المليونير منكراً

— هذه تيجان أثرية فلا يصح أن تمس بأى تعديل .. إن ذلك يضيع قيمتها التاريخية.

— انني أعرف هذا ولـكن أى ضير فى أن نضحى ببعض القيمة التاريخية لـكى تزيد فى جمال هذه التحفة.!

أوه .. انلك آراء غريبة جنونية.!

فلم يزد الدوق على أن قال : ربما .

وأرجع العلبة إلى الخزانة وأغلقها بالمفتاح ثم أعاده إلى صاحبه . ومشى إلى النافذة وجعل ينظر إلى الطريق وهو يصفر لحناً خافتاً.

ثم قال بعد برهة .

— اظن أنه ينبغى أن أبدل ثوبى هذا فما أستطيع أن أبقى طول النهار فى ثياب ركوب السيارات .

فهب مسيو جورناى مارتان جالساً فى فراشه وصاح قائلا :

— بالله عليك لاتهجرنى فى هذه الساعة العصيبة .

— وهل نسيت أن جوشارد ساهر إلى جوارك ومعه مسيو فورمرى وأربعة من أقدر رجال البوليس السرى فضلا عن نفر من رجال الشرطة ! على انى لن أتغيب أكثر من نصف ساعة !

فقال مسيو مارتان :

— ايه ! هذا شأنك مادمت مصراً .

وغادر الدوق الغرفة وهبط الدرج فلما بلغ الباب الخارجى اعترضه الشرطى قائلا :

— معذرة ياسيدى ولـكن هل لديك تصريح من مسيو جوشارد بالخروج ؟

فقال الدوق وقد شمخ بأنفه :

— تصريح من جوشارد؟ وما شأن جوشارد بى ؟ اننى الدوق كارميراس!

فقال الشرطى فى ارتباك :

— هذه هى أوامر مسيو فورمرى ياصاحب الفخامة

فقال الدوق فى سخرية :

— أوامر مسيو فورمرى ؟ إذن أرجوك أن تستدعى إحدى سيارات التاكسى

فأسرع البواب يدعو السيارة . أما الشرطى فلزم الصمت وإن كانت الحيرة قد بانت فى وجهه .

وبعد لحظات كانت السيارة منطلقة بالدوق . ثم رجعت به بعد ثلاثة أرباع الساعة وقد ارتدى ثيابا أنيقة تليق بباريس

ووجد جوشارد ومسيو فورمرى فى قاعة الاستقبال فأنشأ الأخير يحدثه عما وجدا من آثار اللصوص . وكان الدوق يصغى اليه وهو شارد الذهن إذ كان يعرف أن جوشارد ينوى أن يستجوب سونيا بعد قليل وكان

يخشى أن يوقعها فى الفخ ويضيق عليها الخناق فتعترف بسرقاتها القديمة

وقام جوشارد الى التليفون وطلب الاتصال بقصر كارميراس وسمع الحاضرون صوته وهو يقول :

— أهـذا قصر كارميراس . . ! اننى أريد ان أخاطب البستانى . . ! خرج . . ؟ متى يعود . . ! حسناً . . . ! أخبره عند عودته أن يتصل بقصر مسيو مارتان فى باريس . . . ! اننى المفتش جوشارد .

ثم رجع الى مقعده فأشعل سيجارة وغرق فى خواطره .

ثم قال بغتة مخاطبا مفتش البوليس :

— ياجناب المفتش ماذا قال الطبيب عن فيكتوار .؟ وهل أفاقت أم ماتزال واقعة تحت تأثير المخدر . . ؟

فقال المفتش مجيباً :

— لقد قرر الطبيب انها لاتفيق من هذا التخدير إلا قبيل الساعة العاشرة .

ثم غادر الغرفة ، وأخذ مسيو فورمرى يتحدث عن تأثير المخدرات المختلفة وجوشارد والدوق منصرفان عن الاصغاء إليه

وعاد المفتش فأنبأهم أن فيكتوار ماتزال فى غير وعيها ، فاستقر الرأى على استجواب سونيا فقال الدوق :

— انى لأعجب إذ أرى منكما هذا الاهتمام باستجواب طفلة مسكينة .

فقال مسيو فورمرى :

— اننى أشاطرك رأيك يافخامة الدوق .

فقال جوشارد :

— أما أنا فأعلق على الأمر أهمية كبرى .

فهز مسيو فورمرى كتفيه وقال :

— اذن لامفر من استجوابها .! أرجوك أن تستدعيها ياجناب المفتش .

ولما غادر المفتش الغرفة نظر جوشارد إلى الدوق فى شىء من الارتباك ثم قال :

— أظن انه يحسن بنا أن نستجوبها على انفراد .

فجعل مسيو فورمرى ينقل نظره بين الدوق وجوشارد ثم قال فى شىء من الحيرة :

— آه . . طبعاً على انفراد .

فقال الدوق فى شىء من الانفة :

— بلا شك . !

وانبعث واقفاً ومشى الى الباب . ولـكن جوشارد صاح فى أثره :

ـــ ياصاحب الفخامة .

وفطن الدوق إلى أن جوشارد أراد أن يستبقيه فى القاعة حتى تحضر سونيا حتى يحول دونها ومخاطبة الدوق إذا التقيا فى الردهة . ولـكن الدوق لم يكترث لهذا النداء وانما غادر القاعة وأوصد الباب خلفه . وأخذ يصعد الدرج مسرعا فلقى سونيا هابطة فى رفقة المفتش فاعترض طريقهما وقال يخاطب الفتاة فى صوت رقيق :

ـــ لاتخشى شيئاً ياماد موازيل سونيا . . كل ماهو مطلوب منك أن تتذكرى فى جلاء الظروف التى أحاطت السرقات القديمة التى وقعت فى قصر كارميراس . ولـكن لاتدعى أحداً يسبب لك ارتباكا .

ـــ انى أشكر فخامتك على هذه النصيحة .

وصعد الدوق إلى مخدع مسيو مارتان ونقر على الباب فلم يسمع جوابا فلما فتح الباب وجد المليونير راقداً

على فراشه وقد أخذه النوم . فترك الباب مواربا قليلا وسحب مقعداً جلس عليه ومضى يرقب الدرج وهو فى مكانه .

وكان القلق يستولى عليه من حين لآخر فيشيع السخط فى نفسه على جوشارد وفورمرى وسائر المحققين الدين يفزعون الفتيات من مثيلات سونيا .

وبعد نصف ساعة خاله دهراً فتح باب قاعة الاستقبال وسمع اصواتاً مختلفة ثم رأى سونيا تصعد الدرج وفى أثرها المفتش . فلما صارا على رأس سلم خرج من المخدع وقال مخاطباً سونيا

— أرجو ألا يكون هذا الموقف قد أزعجك . ؟

وبدت المسكينة شاحبة اللون مضعضعة القوة فصاحت فى قنوط :

— كان الموقف فظيعاً . ! رهيباً . ! لقد صدقنى مسيو فورمرى وآمن بما قلت .. أما هذا الشيطان جوشارد فلم يصدق كلمة واحدة من أقوالى . ! لقد أربكنى فما عدت أدرى ما الذى جرى به لسانى .

فقرض الدوق على اسنانه غضبا وقال : لقد انتهى الآن كل شىء على اية حال . وأنت الآن فى حاجة الى الراحة فارقدى فى فراشك وسآمر أحد الخدم بان يحمل اليك قدحا من النبيذ .

وبعد ان فرغ الدوق من هذا الشأن هبط إلى قاعة الاستقبال فوجد فورمرى جالسا الى المكتب يخط شيئاً على ورقة ثم ناولها لجوشارد فنظر فيها هذا ولاحت على وجهه أمارات الارتياح وطواها ووضعها فى جيبه .

وقال الدوق فى شىء من السخرية .

— أرجو أن تكون المادموازيل سونيا قد هدتك يامسيو فورمرى إلى حل أسرار هذا اللغز ؟

— الواقع انها جعلتنى موقنا انها لاتعرف شيئا يتصل بهذا اللغز ولكن لجوشارد رأيا آخر فى هذا الموضوع وان كان هو أيضا مقتنعاً بألاصلة بينها وبين أرسين لوبين .

فقال جوشارد فى بطء :

— هذا ماتؤيده الظواهر .. ولكن من يدرى

— اتظن ان للمادموازيل كريتشتوف صلة بلوبين ؟

فقال مسيو فورمرى :

— ان شيئا من هذا لم يخطر ببالى . ولكنك تعرف ان جوشارد يرى أصبع لوبين فى كل حادث . !

فقال جوشارد على مهل :

— وهذه السرقات القديمة ؟ .

فقال مسيو فورمرى :

— والى أى أساس تستند فى اتهامها .. ! حقيقة لقد بدأت هذه السرقات عقب التحاقها بخدمة مسيو مارتان وليكن ألا يجوز أن يكون الأمر قد جاء مصادفة ؟ ومع هذا فقد مضت سنوات على هذه السرقات ومن العسير إن لم يكن من المستحيل اثبات التهمة .

— والقلادة التى سرقت بالامس انني موقن انها مازالت فى هذا القصر

فقال الدوق فى غير اكتراث :

— لعنة الله على هذه القلادة . ! وددت لو انى لم أهدها الى المدموازيل جرمين

وقال جوشارد فى صوت خافت كانما يخاطب نفسه

— لو اننى قبضت على من سرق القلادة . ! لوجدت مفتاح هذا اللغز

الفصل السادس عشر

ساد القاعة صمت قصير بتره الدوق كارميراس بأن قال مخاطبا قاضى التحقيق :

— مسيو فورمرى . لقد أراد الشرطى الواقف بالباب أن يمنعني من الخروج عند ما أردت أن أذهب إلى بيتى لأبدل ثيابى . ولكننى لا أظن أن مسيو جوشارد يقصدنى بأوامره . . ؟

فأجاب مسيو فورمرى على عجل :

— بالطبع كلا .. بالطبع كلا . .

فقال جوشارد :

— لقد فطنت إلى أنك أبدلت ثيابك ولكننى ظننت أنك فعلت هذا هنا .

— بل فى بيتى .

وساد الصمت مرة أخرى ثم قال الدوق :

— انك تذهب يامسيو جوشارد الى أن اللصوص دخلوا القصر من بابه بمساعدة شركاء لهم رفعوا رتاج الباب . ولكن ماحاجتهم الى ذلك ولديهم هذه الفجوة الكبيرة التى أحدثوها فى جدار المدخنة ؟

فقال مسيو فورمرى فى شىء من التهكم :

— ما كنت أعرف أن هذا هو رأى جوشارد ! نعم ... ما حاجتهم الى الباب ولديهم هذه الثغرة ؟

فقال جوشارد مجيبا :

— ربما لم تكن بهم من حاجة الى استعمال باب القصر ولكن الرتاج لم يرفع على سبيل التضليل لأنهم أرادوا تضليلنا بهذا السلم الخشبي المسند الى النافذة . فحسبهم خدعة واحدة . هذا الى أنه من المعقول انهم لم يحدثوا الثغرة وهم فى البيت المجاور إذ كان من المحتمل أن يسقط حجر في الموقد فينبه بواب القصر ولذلك أرجح أن هذه الفجوة انما احدثت أثناء وجود اللصوص فى هذا القصر ليخرجوا المسروقات من خلالها حتى إذا شوهدت المركبة عند باب البيت المجاور لم يساور الشك أحداً من المارة لأن الناس جميعا يعلمون أن البيت المجاور غير خال من السكان

فعبس مسيو فورمرى ولم يقل شيئاً أما الدوق فقال :

— ربما كنت على صواب .. ولكن أين الشركاء ؟

— سنعرف كل شىء عن الشركاء عند ما تفيق فيكتوار

— ولكن مسيو مارتان يثق بها كثيراً

فقال جوشارد فى هدوء :

— وربما كانت ثقة لوبين بها أشد وأكثر !

فقال مسيو فورمرى فى تهكم !

— دائما لوبين ! دائما لوبين !

وظل المحققون يترقبون من لحظة لأخرى تقارير رجال الشرطة الذين انبثوا فى كل مكان يبحثون عن السيارتين المسروقتين ، أوعن شهود يكونون قد رأوا المركبة التى نقلت المسروقات ، ولما طال الانتظار غادر مسيو جوشارد القصر لكى يعاون مساعديه ووعد بأن يرجع فى منتصف الثامنة مساء حتى يتمكن مسيو فورمرى من مغادرة القصر إذ كان على موعد هام فى تلك الساعة .

ولـكن جوشارد لم يرجع فى منتصف الثامنـة كما وعد ، ولم يبدأ مسيو فورمرى أن يتخلف عن موعده الهام فغادر القصر بلا ابطاء بعد أن زود مفتش الشرطة بتعليماته .

وكان مسيو جورناى مارتان قد دعا الى العشاء فريقا من أصدقائه ، ولـكنه تلقاهم بوجه منقبض وأنشأ يتحدث إليهم عن كنوزه التى فقدها وعن التاج الذى يوشك أن يفقده .. ! ولما أشرفت الساعة على العاشرة انسل الدوق من بين الحاضرين وذهب الى لقاء جوشارد فى قاعة الاستقبال وقال يسائله :

— أرجو أن يكون أحد رجالك قد اهتدى الى معرفة الطرق التى سلـكها اللصوص بمسروقاتهم .

فهز جوشارد رأسه وقال : على رغم التحريات الدقيقة لم نعثر على انسان رأى المركبة .

— وهل يعود مسيو فورمرى الليلة .. ؟

— كلا ... فالأمر الليلة موكول الى ، ولدى رجال أفهمهم ويفهمونني .

وفتح الباب فى هذه اللحظة ودخل البوليس السرى بونافنت وقال :

— لقد استفاقت فيكتوار من تأثير المخدر .

— حسناً .. دعها تحضر اذن .

فقال الدوق متسائلا .

— أظنك تريد مني أن أنصرف لتستجوبها على حدة .

— كلا .. كلا .. بل ابق اذا راق لك أن تسمعنى وأنا أستجوبها .

فقال الدوق

— لقد أخبرنى مسيو فورمرى اليوم أنه يعتقد ان فيكتوار بريئة وساذجة

فقال جوشارد :

— ليس فى هذه القضية إلا شخص واحد هو البرىء الساذج .

— ومن يكون .؟

فأجاب جوشارد فى هدوء :

— مسيو فورمرى طبعاً . !

واذ ذاك أقبـل بونافنت فى رفقه فيكتوار وهى امرأة بدينة متوسطة العمر ذات سحنة بشوشة .

وقالت تخاطب جوشارد :

— لقد وددت ياسيدى المفتش أن أبدل ثيابى ولـكن رجلك آثر أن اعجل بمقابلتك . ! لقد مضت ساعات مذ أوثقني هؤلاء الأوغاد وغطوا وجهى بالمنديل ذى الرائحة المخدرة . يالهم من وحوش ذى وجوه بشعة . !

فقال جوشارد يسائلها : وكم كان عددهم يامدام فيكتوار . ؟

— عشرات . ! عشرات . ! لقد كان البيت يموج بهم لقد سمعت جلبة فى هذا الطابق فلما نزلت أستطلع الخبر وثب بى أحدهم من الخلف وكاد أن يخنقنى .

— وهل كانوا وحوشاً ذوى وجوه بشعة . ! هل رأيت وجوههم ؟!

— كلا .. وددت لو أننى رأيتها إذن لعرفت أصحابها على الفور بمجرد أن أراهم مرة أخرى .. لقـد كانوا مقنعين .

— انك تنامين فى إحدى الغرف العليا ولمخدعك كوة فى السقف أليس كذلك ؟

— نعم . هذا صحيح .

— ولقدصعدت إلى غرفتك لتنامى ثم سمعت الجلبة؟

— نعم .

— وهل كانت الجلبة فوق السقف .؟

— فوق السقف ! بالطبع كلا . بل كانت الجلبة هنا

— حسنا . وقد هبطت لتستطلعى ما حدث فهوجمت من الخلف وأحضروك إلى هذه القاعة . ؟

— هذا هو ما وقع .؟

— وهل أوثقوك وكموك فى الردهة أم فى هذه القاعة ؟

— لقد امسكونى فى الردهة ثم دفعوا بي إلى هذه القاعة وأوثقونى

فقال جوشارد يسائلها :

— وليس هذا بالطبع من عمل فرد واحد . ؟

— كلا بالطبع . ! لقد تكفل بى أربعة رجال .

— وهل وقف الباقون يتفرجون . ؟

— كلا بل كانوا منهمكين فى العمل .

— أى عمل . . ؟

— كانوا ينزعون الصور من الجدران ويخرجون بها من النافذة ويهبطون على السلم الخشبي .

فقال جوشارد يسألها :

— صفى لى بالضبط ماذا كانوا يصنعون . هل كان الرجل الذى ينتزع الصورة من الجدار يهبط بها السلم بنفسه أم يناولها زميلا له يقف على رأس السلم . ؟

فتريثت فكتوريا برهة تفكر ثم أجابت : بل كان يهبط بها على السلم بنفسه .

— أموقنة أنت من هذا . . ؟

— بلا شك . . ! ولماذا أكذبك القول ياجناب المفتش . ؟

ومشت فى وجهها سحابة خفيفة من القلق . فقال جوشارد .

— بالطبع ليس هناك مايدعوك إلى الكذب . ! ولكن اين كنت . ؟

— لقد وضعونى خلف حاجز النيران .

— بل أقصد أين كنت عندما دخلوا هذه الغرفة ؟

— كنت على كثب من الباب .

— وأين كان الحاجز . ؟هل كان موضوعا أمام الموقد . ؟

— كلا . . بل إلى يساره .

— هل لك أن ترينى أين كان موضعه بالضبط . . ؟

فنهضت مدام فيكتوار واقفة وجوشارد يساعدها على النهوض ووضعت الحاجز الى يسار الموقد .

وقال جوشارد :

— ان للأمر أهمية قصوى . وأريد أن أعرف بالضبط اين كانت تقع قوائم الحاجز الأربع . فلنضع علامة عند موضع كل قائمة.. اننى اريد قطعة من الطباشير . أخبرينى يامدام فيكتوار . هل تخيطين الثياب فى بعض الأحيان .؟

ـ نعم . فى أوقات فراغى أخيط الثياب للخادمات .

ـ اذن فمعك قطعة من الطباشير ؟

ـ نعم . نعم .

ومدت يدها الى جيبها على عجل . ولكنها مالبثت أن زوت مابين حاجبيها وارتدت الى الوراء وأجالت فى القاعة نظرة قلقة وقد شحب لونها وقالت فى صوت يدل على الارتباك .

ـ عم أتحدث .! ليس لدى طباشير .. لقد فرغ ما لدى من الطباشير أول أمس .

فقال جوشارد فى صوت صارم :

ـ أظن انه مازالت لديك قطعة من الطباشير يامدام فيكتوار . ابحثى فى جيبك ؟

فصاحت المرأة فى جزع :

ـ كلا . ليس معى طباشير ! ليس معى طباشير !

فوثب اليها جوشارد وأمسكها بيده اليمني بشدة على حين دس يده اليسرى فى جيبها يفتشه ثم أخرجها وفيها قطعة من الطباشير الأزرق وهو يقول :

ـ ماهذا .؟

فاستردت فيكتوار رباطة جأشها وقالت :

ـ طباشير .! ولكن أمن الاجرام أن تحمل امرأة شريفة مثلى قطعة من الطباشير ؟

ـ هذا أمر لقاضى التحقيق أن يبحث فيه .

ومشى الى الباب واستدعى بونافنت وقال له :

ـ إذا حضرت عربة السجن فأرسل فيها هذه المرأة

فصاحت فيكتوار

ـ ولكنني بريئة ! إننى لم أرتكب جرماً .

ـ يمكنك أن تقررى هذا أمام القاضى .

الفصل السابع عشر

بعد أن غادرت فيكتوار القاعة فى رفقة الشرطى السرى التفت جوشارد الى الدوق وقال :

ـ هذه هى المرأة البريئة الساذجة التى يدافع عنها مسيو فورمرى .

فقال الدوق يسائله :

ـ والطباشير . . ؟

ـ انه أزرق اللون ... نفس اللون الذى كتبت به توقيعات أرسين لوبين على الجدران .. فاذا أضفت الى ذلك جزعها عند ما سألتها عن الطباشير وإخفاءها أن معها طباشير أدركت أن الامضاءات انما كتبت بهذا الطباشير .

فقال الدوق :

ـ هذا غريب . ! فان السذاجة تلوح عليها ، ولايمكن أن يخطر بالبال أن مثلها قد تشترك فى ارتكاب جريمة . . !

فقال جوشارد :

— أنك لا تعرف لوبين ياصاحب الفخامة . . . انه لايعجز عن اغواء أشد النساء طهارة وأمانة وحملها على مساعدته .

— ولكن أليس من النذالة أن يستغل سذاجة امرأة كهذه فيسبب لها متاعب لاقبل لها بها .. ؟

— ولكنه لايسبب المتاعب لشركائه أوشريكاته ... ان فيكتوار هي أول امرأة قبضنا عليها من شريكات لوبين ، وانني أعد هذا فألا حسناً .

وعبر جوشارد الغرفة ودس يده فى جيب معطفه الموضوع على المقعد واخرج علبة تناول منها بطاقة وهو يقول :

— اليك هذه البطاقة ياصاحب الفخامة لكى تريها لرجالى عند الباب اذا ماأردت الخروج . . انها مجرد رسميات ولكننى أعلق أهمية كبيرة على ذلك إذ لاأحب أن أعمد إلى الاستثناءات فانك إن حملت هذاالتصريح فلن يكون هناك مايدعو سواك إلى التذمر أو الاعتراض .

فقال الدوق :

— لامانع لدى مادام فى الأمر معاونة :

— شكراً لك

وخط جوشارد على البطاقة بضع كلمات ثم ناولها إلى الدوق فنظر فيهاهذا ووجدها تحمل هذه الجملة .

« يسمح للدوق كارميراس بالخروج - جوشارد . »

ودق الباب ودخل الشرطى السرى ديوزى فقال له جوشارد فى اهتمام :

— ماوراءك ياديوزى .

— لقدعرفت أن سيارة نقل كانت واقفة عندباب البيت المجاور فى الشارع الجانبى .

— فى أية سلعة .. ؟

— بين الساعة الرابعة والخامسة صباحا

— ومن رآها . ؟

— الكناس . وهو يعتقد أن السيارة انطلقت فى نحو الساعة الخامسة

— بين الرابعة والخامسة فى نحو الخامسة . إذن فقد سدوا الثغرة قبل أن ينقلوا المسروقات إلى السيارة هذا هو ماخطر ببالى وهل اهتديت إلى شىء آخر .؟

— نعم .. فبعد مسير السيارة بدقائق خرج من البيت رجل يرتدى البذلة الخاصة بقيادة السيارات :

فقال جوشارد على عجل :

— البذلة الخاصة بقيادة السيارات ؟

— نعم .. وقد رمى بقية سيجارته على مقربة من البيت .. وقد استغرب الكناس المسألة كلها ولهذا احتفظ ببقية السيجارة .. وهاك العقب !

ونظر جوشارد فى العقب ثم قال :

سيجارة مذهبة من طراز مرسيد ... عجبا ... إنك تدخن هذا النوع ياصاحب الفخامة ؟

فقال الدوق :

— هذا غريب جداً ؟

— لقد اهتديت الى حلقة أخرى .. لاشك أنك تحتفظ فى قصر كارميراس بكمية من هذه السجائر ؟

— طبعاً ... ما من طاولة هناك إلا عليها علبة من هذا الصنف

— أرأيت إذن . ؟

فقال الدوق :

— لقد أدركت ماترمى اليه . ؟ أتريد أن تقول إن كاروليه قد سرق احدى العلب . ؟

— وهل تظنه يعف عن ذلك . . ؟

— لقد ظننت أن . .

وكف عن الكلام فقال جوشارد :

— ماذا ظننت . ؟

— أن لوبين هو الذى أشرف بنفسه على هذه السرقة . . فمادمت قد وجدت أزهار السلفيا فى المنزل المجاور فهذا دليل على أن لوبين حضر من كارميراس .

— هذا لاريب فيه .

—ولوبين هوكاروليه؟

—هذهمسألةأخرى .

فقال الدوق فى حماسة :

— ولكنها محققة . . السلفيا . . والسجائر . .

فقال جوشارد باسما :

— هذا جائز . . انك تصلح شرطيا سريا . : ولكننا لا نستطيع أن نجزم فى الأمر .

— كيف لا تستطيع . . ! أما كان لوبين فى كارميراس بالأمس . . ؟ أما كان هو الذى دبر سرقة السيارتين

— بلا شك . . ولكن من المحتمل أنه لم يشترك فى كل هذا مباشرة .

— إنه إذن لرجل عجيب . ! وددت لو أننى رأيته . . !

فقال جوشارد :

—الليلة يتحقق رجاؤك

— الليلة . ؟

— نعم الليلة . . أما أنذرنا بالحضور وسرقة التاج عند منتصف الليل ؟

فقال الدوق فى انكار :

— لا أظنه يجرؤ على هذه الفعلة . .

— إنك إذن لا تعرف لوبين ياصاحب الفخامة . . إنه مزيج من الجرأة والبرود . . . إن الأخطار هى التى تستهويه . . إنه مولع بان يقتحم النيران ليثبت للحاضرين أنهالن تناله بسوء . . لقد خبرته فى خلال السنوات العشر الماضية . . إنه يغامر بنفسه ويستهدف للاخطار دون تردد ثم ينجو منها بعد أن أكون موقنا باننى قد قبضت عليه . ! إنه يحب الخطر . . ويحب أن يداعبنى . ! انه ليس لصا عاديا . . إنه فنان ! إنه يزاول اللصوصية على اعتبار انها فن من الفنون .

فقال الدوق :

— أتظن اذن أن لوبين سيحضر الليلة . ؟

— إننى لا أرتاب فى هذا .

ثم تحول الى ديوزى وقال يسائله :

— وهل تبع الكناس الرجل الذى فى ثياب السيارات بعد أن التقط عقب السيجارة . ؟

— نعم . . لقد اقتفى خطواته نحو مائة ياردة حتى بلغ شارع سيرو ثم انعطف إلى اليسار وجاءت سيارة فاستقلها ومضت به .

— وما نوع هذه السيارة . . ؟

— كبيرة الحجم ولونها قرمزى غامق .

فصاح الدوق :

— إنها اذن السيارة المسروقة . !

وقال جوشارد بعد أن انصرف ديوزى لمتابعة أبحاثه :

— لقد بدأنا نصل إلى معلومات هامة .

— بلا شك . . بلا شك

وساد الصمت برهة ثم دخلت الخادمة إيرما تقول :

— ياصاحب الفخامة .. إن المادموازيل كريتشوف ترغب فى أن تتحدث قليلا إلى فخامتك .

حقاً .؟ وأين هى . ؟

— إنها فى مخدعها

— حسناً سأنتظرها فى غرفة المكتبة .

ونهض واقفاً ولكن جوشارد بادره بقوله :

— لى كلمة مع فخامتك قبل أن تذهب اليها

وأخرج من جيبه ورقة مطوية نشرها ووضعها أمام عينى الدوق فقرأها هذا ثم قال :

— لا بأس . .

ثم تحول إلى إيرما :

— أخبرى المادموازيل كريتشوف أننى فى قاعة الاستقبال وأن معى زائراً لن أفرغ منه إلا بعد عشر دقائق . . ! أفهمت .!

— نعم . . بعد عشر دقائق . !

وقال جوشارد مخاطباً إيرما :

— اطلبى إلى المادموازيل كريتشوف أن ترتدى معطفها وقبعتها .

ولما انصرفت إيرما التفت الدوق إلى جوشارد وقال فى غضب :

— مامعنى هذا .!

انه امر استصدرته من مسيو فورمرى بالقبض على المادموازيل كريتشوف

— أتقبض على هذه الطفلة المسكينة ! ؟

— هذا لامفر منه . . ! لقد استجوبتها اليوم فكانت أجوبتها متناقضة مضطربة ومثيرة للريب .

— وهل استقرت نيتك على القبض عليها . ؟

— طبعاً ... ومركبة السجن بالباب الآن لتحملها هى وفيكتوار .

فجعل الدوق يغمغم قائلا :

— إذن فقد قررت أن تقبض عليها .. ! إذن فقد قررت أن تقبض عليها .. !
ولاحت على وجهه أمارات التفكير العميق .
فقال جوشارد معتذراً :
— انى أعطف على هذه المسكينة وأرثى لحالها ، ولكننى لا أستطيع إلا أن ألبى نداء الواجب .
فقال الدوق فى صوت خافت كأنما يخاطب نفسه :
— نعم ... انها جديرة بالرثاء .. ! انها طفلة ضالة . . . لقد ضلت طريقها فى الحياة . . ! وهذا المخبأ كان مكشوفاً .! هذا المنديل الذى عثروا عليه فى البيت المجاور .. ! يالها من مسكينة . . !
فصاح جوشارد فى شىء من الدهش :
— منديل ..! ماذا تعنى ؟ . !
فقال الدوق :
— انها طفلة جديرة بالشفقة . . !
— ولكن أى شىء كان فى المنديل . . ؟
— القلادة طبعاً ..! لقد كنت أظنك على علم بالأمر يامسيو جوشارد . . ؟
— اننى لا أعلم شيئاً عما تحدثنى به .
فقال الدوق :
— ألم يترك لك إذن مسيو فورمرى نبأ ! نعم لقد كنت أنت غائبا عن الدار حين عثر على المنديل فلاريب أنها انسلت من مخدعها خفية وألقت المنديل بالقلادة فى البيت المجاور .
فقال جوشارد :
— وأين هذا المنديل ! ؟
— لقد أخذ مسيو فورمرى القلادة ولكنه ترك المنديل حيث كان!
فصاح جوشارد :
— ترك المنديل حيث كان ! ياللحماقة ! ان فورمرى لا يصلح قاضيا للتحقيق وانما يصلح راعيا للأغنام ! أين كان المنديل ؟
فأجاب الدوق :
— فى الركن الأيسر من الغرفة اليمنى فى الطابق الثانى . . ولكن ما أهمية المنديل مادمت تنوى أن تقبض على الفتاة ؟
— انه دليل لا ينقض ! وسيحملها على الاعتراف بجرمها . لقد استصدرت أمراً بالقبض عليها استناداً الى مجرد شبهات ليس إلا ! أما الآن فقد هديتنى الى الدليل الحاسم . . وما دامت قد ألقت المنديل فى البيت المجاور فهذا دليل على أنها تعرف سر الفجوة الموجودة فى الجدار . . . أو انها بعبارة أخرى شريكة لارسين لوبين ...
وابتسم جوشارد ابتسامة تدل على الظفر فقال الدوق :
— ياإلهى ! وأنا الذى قدمت هذا الدليل ضدها !
فقال جوشارد فى صرامة :
— هذا واجبك تجاه الهيئة الاجتماعية ياصاحب الفخامة

وحمل جوشارد مصباحه الكهربائي ومشى إلى الموقدة فقال الدوق :
— أتحب أن أرافقك .؟ انني أعرف مكان المنديل .؟
— شكراً لك . . انني أوثر أن أذهب وحدى .
— كما تشاء اذن .
وارتقى الدرج الخشبي الموضوع داخل المدخنة .
وأرهف الدوق أذنيه ولم يكد يسمع وقع خطوات جوشارد وهو يثب من الفجوة إلى البيت المجاور حتى وثب قائما ومشى الى باب القاعة ففتحه ورأى بونافنت جالساً على مقعد عند الباب . ثم لمح سونيا تهبط الدرج وقد ارتدت معطفها وقبعتها .
ومد الدوق عنقه إلى داخل القاعة الخالية وقال متظاهراً بانه يخاطب جوشارد :
— هاهي ذى المدموازيل كريتشوف يامسيو جوشارد .
ثم أومأ اليها برأسه يدعوها للدخول فلما دخل كان فى أثرها وأوصد الباب خلفها وقال فى صوت منخفض:
— ليس هناك وقت نضيعه ياسونيا.
— ماذا تعنى ياصاحب الفخامة ؟
— لقد استصدر جوشارد أمراً بالقبض عليك
فصاحت سونيا فى جزع :
— يا إلهى .!
— لاتخشى شيئا. يجب أن تغادرى البيت على الفور
— ولكن كيف أغادره والشرطة على الباب ؟
— هذه عقبة لاأهمية لها .
ومضى إلى معطف جوشارد الموضوع على المقعد وأخرج من جيبه علبة البطاقات فتناول واحدة منها ثم جلس إلى المكتب وخط عليها هذه الجملة :
« يسمح للمادموازيل كريتشوف بالخروج — جوشارد . »
ولكنه لم يكتب التوقيع إلا بعد أن نظر فى البطاقة التى زوده بها جوشارد من قبل فزور امضاءه تزويراً متقناً .
ولم يكد الدوق يفرغ من كتابة هذه البطاقة حتى سمع جلبة صادرة من داخل المدخنة فهب واقفاً وأشار إلى سونيا بالصمت ومشى إلى الموقدة وقد تصلبت عضلات وجهه وبدا العزم فى عينيه .
وارتفع صوت جوشارد وهو يقول مناديا :
— ياصاحب الفخامة .! ياصاحب الفخامة .!
فأجاب الدوق فى هدوء :
— ماذا تريد ؟
— انني لم أجد أثراً للمنديل . ألم تقل انه فى الركن الأيسر من الغرفة اليمنى فى الطابق الثانى ؟
— لقد قلت لك أن تدعنى أرافقك .! انه فى الركن الايمن من الغرفة اليسرى .
فقال جوشارد فى صوت ينم على الدهش :
— لقد كنت موقناً انك قلت انه فى الغرفة اليمني .

ثم تضاءل وقع أقدامه وهو يبتعد ورجع الدوق الى سونيا وهتف بها .

— والآن يجب أن تغادرى هذا البيت على الفور . أبرزى هذه البطاقة للشرطى الواقف بالباب .

ودس البطاقة فى يدها فنظرت فيها سونيا وقالت:

— ولكن .. ولكن هذه البطاقة . ؟

— انصرفى ولا تضيعى الوقت ..!

— ولكن هذه حماقة . . ! ماذا يكون من أمرك عند ما يكتشف جوشارد أن هذه البطاقة ... أن هذه البطاقة ...

ولم تجرؤ أن تقول « مزورة » فقاطعها الدوق بقوله :

— لا داعى للقلق ..! أى مكان ستقصدين الآن .. ؟

— فندقا صغيرا فى ميدان استار ، وقد نسيت اسمه ، ولكن هذه البطاقة ...

— أفى الفندق تليفون .. ؟

— نعم رقم ٥٥٥ سنترال .

فقال الدوق وهو يكتب رقم التليفون على كم قميصه :

— اذا لم أخاطبك تليفونياً لغاية منتصف التاسعة من صباح الغد فاحضرى الى بيتى .

— حسناً ، ولكن هذه البطاقة .. عند مايعرف جوشارد .. عند ما يكتشف الحقيقة ..! اننى لاأستطيع أن أزج بك فى المتاعب لأجلى .

— ولكن اطمئنى فلن ينالنى أى سوء .!

ودفع بذراعه فى ذراعها وقادها الى الباب فغمغمت سونيا تقول :

— اوه . . ! ما أنبل عواطفك .. !

فعلى حين بغتة اجتذبها الدوق إليه وانحني على شفتيها يقبلهما .

الفصل الثامن عشر

حين سمع الدوق صوت الباب الخارجى وهو يغلق خلف سونيا بدت أمارات الارتياح على وجهه ورجع إلى مقعده وأخرج من جيبه سيجارة وأشعلها ومضى يدخنها فى هدوء منتظرا عودة جوشارد

وبعد لحظات سمع وقع أقدام جوشارد وهو يهبط السلم الخشبي . . ثم خرج من باطن الموقدة وقد لاحت على وجهه دلائل الحيرة وقال يخاطب الدوق :

— لم أجد شيئا . .ولا أستطيع أن أفسر الأمر .

فقال الدوق فى دهش !

— لم تجد شيئا . . ؟

— نعم وهل أنت موقن أن المنديل كان فى إحدى غرف الطابق الثانى . . ؟

— بلا شك ولكن يحتمل أنك لم تحسن البحث

ثم أردف يقول فى لهجة تنطوى على التهكم:

— لو اننى كنت مكانك لعاودت البحث مرة أخرى

فقال جوشارد :

— لقد أحسنت البحث وما بى من حاجة الى معاودته مرة أخرى . . ولكن . ألا يبدو الأمر غريبا ياصاحب الفخامة ؟

— بلا شك ! ان الأمر غريب جدا . بل مضحك أيضا !

ونظر جوشارد الى الدوق فى شئ من الارتباك . ثم دق الجرس فلما دخل بونافنت قال له :

— لقد حان الوقت . أين المادموازيل كريتشوف ؟

فقال الشرطى السرى فى دهش :

— المادموازيل كريتشوف !

— نعم . لقد حان وقت ذهابها الى السجن .

فقال بونافنت :

— ولكن المادموازيل كريتشوف قد خرجت

— خرجت ! ماذا تعنى ؟

— لقد خرجت ! لقد غادرت القصر . .

فصاح جوشارد :

— غادرت القصر ! أنت مجنون ! أنت مجنون !

— اننى موقن مما أقول !

فصاح جوشارد وهو يكاد يفقد وعيه :

— ومن الذى أذن لها بالخروج ؟

— حراس الباب الخارجى . .

— حراس الباب الخارجى ! هذا جنون ! لقد أصدرت أوامرى المشددة بألا يسمح لأحد بالخروج الا اذا كان يحمل بطاقة باسمى تخوله الحق فى الخروح .. أرسل الى هؤلاء الحراس المجانين .

وبعد لحظة أقبل رجلان من الشرطة السريين فما رآهما جوشارد حتى صاح بهما :

— كيف سمحتما للمادموازيل كريتشوف بالخروج وهى لاتحمل تصريحا منى على بطاقتى ..؟

فقال أحد الرجلين :

— ولكنها كانت تحمل تصريحاً مكتوباعلى بطاقتك فصاح جوشارد :

— ماذا تقول .؟إنه إدا تصريح مزور .!

وهب واقفاً وجعل يتمشى فى القاعة مفكراً ثم أمر الرجلين بالانصراف ثم دنا الدوق كارميراس ووقف أمامه يتفرس فيه كأنه لم يره من قبل .

وقال الدوق فى صوت ساخر .

— هل أرسلت هذه الطفلة المسكينة الى السجن .! إنه عمل يقض المضاجع ويورث السهاد . !

فقال جوشارد وهو مازال يدير فى الدق نظرة فاحصه :

— لقد استطاعت هذه الطفلة المسكينة أن تهرب بواسطه تصريح مزور .

— حقاً ..! كم يسرنى أن أسمع هذا .! وأرجوك معذرة يامسيو جوشارد اذا كنت لاأشاطرك رأيك فاننى جد عطوف على هذه الفتاة البائسة .

— ان بؤسها لم يمنعها من أن تكون شريكة لأرسين لوبين . !

ـ أتظن هذا . ؟

ـ انني موقن من الأمر .. ولكن كيف ظفرت بهذا التصريح المزور . ؟

فهز الدوق رأسه وكانت سحنته تدل على أنه قديس طاهر . !

ونظر جوشارد الى الدوق فى شىء من القلق ثم غادر القاعة وأوصد الباب خلفه وأقبل على بونافنت يسأله

ـ كم مضى من الوقت على خروج الفتاة ؟

ـ خمس دقائق على الأكثر . لقد خرجت من الغرفة وهى تتحدث اليك .

ـ أكانت تتحدث إلى .؟

ـ نعم .. و .

وابتسم جوشارد ابتسامة خفيفة وقال :

ـ لعبة بديعة . !

ثم مضى مسرعا إلى قاعة الاستقبال، وأخرج من جيب معطفه علبة البطاقات وعد ما فيها فوجدها تنقص واحدة .

ونظر جوشارد إلى الدوق . فابتسم الدوق فى وجهه ابتسامة لطيفة .

ولاح على جوشارد انه أراد أن يقول شيئا ولكنه رد نفسه عن الحديث وأعاد علبة البطاقات إلى جيبه .

ثم صاح بملء صوته :

ـ بونافنت .! بونافنت . !

فدخل الرجل يهرول فقال يسأله :

ـ هل أرسلت فيكتوار فى مركبة السجن .؟

ـ نعم . لقد أرسلتها منذ وقت طويل .! لقد حضرت المركبة قبل منتصف العاشرة .

فصاح جوشارد : قبل منتصف العاشرة . ! ولكنني طلبت منهم أن يرسلوا المركبة قبل الساعة الحادية عشرة .! بل على أية حال ليس للأمر أهمية كبيرة

فقال بونافنت :

ـ وهل آمر المركبة الأخرى بالانصراف ؟

أية مركبة أخرى ؟

تلك التى وصلت منذ قليل .

فبدا الانزعاج على وجه جوشارد وصاح به :

ـ عم تتحدث . ؟ عم تتحدث .؟

ـ ألم تطلب من إدارة السجن أن ترسل مركبتين ؟

فصاح جوشارد وقد أخذ منه الغضب كل مأخذ :

ـ أتريد أن تقول ان هناك مركبتين . ! وفى أيهما ذهبت فيكتوار ؟

ـ فى الأولى ياسيدى .

ـ وهل رأيت الشرطى الذى كان يقودها ؟

ـ لقد رأيته وتحدثت اليه

ـ هل سبق لك ان رأيته من قبل ؟

ـ كلا . وأغلب ظنى انه من الشرطة الجدد . !

فصاح جوشارد فى صوت يخنقه الغيظ :

— يالك من غبي .!

— ماذا جرى !؟

— انها ضربة .! ضربة بارعة .!

فقال الدوق فى هدوء!

— من أرسين لوبين ؟

وقال بونافنت متسائلا :

— ولكننى لم أفهم بعد ماحدث .

— ألم تفهم بعد أيها الغبي .! لقد أرسلت فيكتوار فى عربة السجن المزيفة .! المركبة الأولى أرسلها لوبين ويقودها اعوان لوبين .! وبذلك استطاع ان ينقذ شريكته من قبضتى ! ألا لعنة الله عليه .

فقال الدوق :

— ولكنه بعيد النظر حصيف الرأى ، فقد توقع انك ستقبض على فيكتوار فتهيأ للأمر .

فصاح جوشارد :

— ولكن هناك حلقة مفقودة .! هناك حلقة مفقودة .! كيف عرف لوبين؟ إن الطبيب قرر أن فيكتوار لن تستعيد رشدها إلا فى نحو الساعة العاشرة ، فكيف اتصل هذا النبأ بلوبين فأرسل المركبة فى الوقت المناسب .! هناك حلقة مفقودة فأين هى ؟

ثم تحول الى بونافنت وصاح به :

— ما الفائدة من وقوفك فاغر الفم كالأبله .! هيا اصعد الى مخدع فيكتوار وفتشه جيداً .

ولما انصرف بونافنت قال الدوق مخاطباً جوشارد :

— الحق اننى أشاطرك رأيك يامسيو جوشارد فى أن أرسين لوبين هذا رجل نابغ .! ان خدعة مركبة السجن خدعة بديعة محبوكة .

فصاح جوشارد فى اهتياج :

— لابد لى أن أقبض عليه .! ان مساعدى لبلاهتهم وغباوتهم يفسدون على أعمالى .! طالما أسديت اليهم النصح بأن يشكوا فى كل شىء ويرتابوا فى كل انسان .! الشك هو شعار الشرطى السرى الناجح .

ودق جرس التليفون فمضى اليه جوشارد ثم التفت الى الدوق يقول :

هذا هو بستانى قصر كارميراس .

ثم تابع حديثه التليفونى قائلا : نعم .. أنا المفتش جوشارد . أريد أن أعرف أسماء الأشخاص الذين دخلوا بالأمس إلى بيت الأزهار فى حديقة القصر . أو بعبارة أخرى أسماء الأشخاص الذين قطفوا شيئاً من أزهار السلفيا.

فقال الدوق على عجل : لقد أنبأتك اننى أنا الذى قطفت شيئاً من الأزهار :

فالتفت اليه جوشارد وقال : نعم .. نعم إننى أعرف هذا .

ثم رجع يواصل حديثه التليفونى ويقول :

— من .؟ الدوق كارميراس .؟ اليس هناك سواه .؟ أمتأكد أنت من ذلك .؟ حسناً شكراً لك .

ثم رد سماعة التليفون مكانها والتفت إلى الدوق قائلا : أسمعت هذا ياصاحب الفخامة .؟ انه يقول انك الشخص الوحيد الذى قطف بالأمس أزهار السلفيا

فقال الدوق بلا مبالاة : أقال هذا حقاً .؟

ونظر جوشارد إلى الدوق متفرساً ولكنه لم يقل شيئاً .

وفتح الباب ودخل بونافنت يقول : لم اجد فى مخدع فيكتوار الا هذا .. كتاب صلاة وفيه صورة فوتوغرافية لها .

وتناول جوشارد الصورة ونظر فيها وهو يقول :

— يلوح لى أنها التقطت لهامنذ عشرسنوات.اهذاغريب.اماهذا.؟

كانت الصورة تمثل فيكتوار وقدارتدت ثيابا أنيقة وإلى جوارها وقف صبي فى السابعة عشر من عمره . واستقرت عينا جوشادد على وجه الصبي ثم أخذ يفحصها فى إنعام . وبعد هذا راح ينقل نظراته بين الصورة ووجه الدوق كارميراس .

وفطن الدوق الى ذلك وبدا فى عينيه شيء من القلق ولم يفت هذا على جوشارد فدنا من الدوق وحملق فى وجهه كأنما لايصدق عينيه فقال الدوق: ماذا دهاك ؟ لماذا تحملق فى بهذا الشكل أترى رباط عنقى أعوج غير منسجم ؟

فقال جوشارد لاشيء . لاشيء .

ومضى يحدق النظر فى الصورة مرة أخرى

وتعالت من الردهة أصوات مرحة ضاحكة فنهض الدوق وهو يقول إن ضيوف مسيو مارتان ينصرفون فيجب أن أودعهم

وزايل القاعة من فوره .

ولبث جوشارد بعد انصرافه يتأمل الصورة طويلا

وبعد أن انصرف المدعوون صعد مسيو مارتان الدرج وفى أثره جرمين والدوق .

وقالت الفتاة لخطيبها : سيقضى أبى هذه الليلة فى فندق ريتز اذ يكره أن يبيت فى القصر خشية أن يهاجمه لوبين مع عصابته .

فقال الدوق ضاحكا : دعى عنك هذه الأوهام . . إنه لن يجرؤ على مهاجمة القصر وكل هؤلاء الشرطة يخفرونه .

— إن لوبين رجل لايهاب الأخطار . .

ثم تركته ومضت الى مخدعها لتبديل ثيابها .

ورجع الدوق الى القاعة فوجد جوشارد مازال مكانه وهو عابس الوجه فقال له :

— إن الأسرة تنوى أن تقضى الليل فى فندق ريتز . . ألا ترى معى أن فى عملهم هذا مايزرى بمقدرتك على حمايتهم .

فهز جوشارد كتفيه وقال بلا اكتراث :

— من الخير لهم أن يغادروا البيت.

ومضى يتفرس فى الدوق ثانية فقال الدوق:

— ماذا جرى . . ؟ أرباط عنقى فى غير موضعه . . ؟

فأجاب جوشارد على الفور :

— بل هو فى موضعه ياصاحب الفخامة .

وفتح الباب ودخل مسيو جورناى مارتان وهو يقول:

— أليس هذا غريبا . ؟ ! لقد قضى على رب الدار ألا يلبث فى داره . . !

فقال الدوق : وما الذى يدعوك إلى مغادرة القصر . . ! انني لا أرى سبباً لهذا .

— انني أريد أن أتقى الخطر ياصديقى .. أما قرأت برقية ارسين لوبين ؟ سيقتحم البيت الليلة لكى يسرق التاج عند منتصف الليل .. انه يعرف ان التاج موجود فى مخدعى فهل تريد منى أن أبقى حتى يحضر هذا الشيطان ويقطع عنقى .

— يمكنك أن تقيم على حراستك عشرات من رجال الشرطة .. وفى مخدعك نفسه . . ! اليس هذا ممكنا يامسيو جوشارد

فأجاب جوشارد : بلا شك . وانى أستطيع أن أضمن لك السلامة يامسيو مارتان . ثق بأنك لن تتعرض لأى خطر .

— شكراً لك . ان خارج البيت آمن على أية حال من داخله .

وأقبلت جرمين فلما رأت أباها ينتظرها قالت تخاطبه فى تهكم :

— هذه أول مرة يا أبتاه أراك فيها قد تهيأت للخروج على عجل . ! أتنوى أن ترافقنا ياجاك ؟

فأجاب الدوق قائلا : انى أوثر البقاء اذ يحتمل أن يكون لوبين جاداً فى انذاره لا هازلا . ! انني شخصياً لاأعتقد انه سيجرؤ على الحضور ولكنني أراكم مجمعين على انه سيحضر .

فقال المليونير باسما : فليحضر أو لايحضر . ! انه على أية حال لن يعثر على التاج لأنني سآخذه معى الى الفندق فى هذه الحقيبة . !

ولوح بالحقيبة التى يحملها فى يده .

فقال الدوق : وهل ترى من الحكمة أن تحمل التاج معك

— وما المانع ؟

— اذا كنت تعتقد أن لوبين يجرؤ على أن يتخطى نطاق هؤلاء الحراس دون مبالاة فهل تظنه يعجز عن أن يهاجمك فى فندق رتيز وليس الى جوارك شرطى واحد .! ولاتنس أن لوبين قد طلب منك أن تضع التاج فى المخدع ولكنه لم يحدد لك أى مخدع يقصد . أمخدعك فى القصر أم مخدعك فى الفندق .!؟ فكأنك بعملك هذا تهون عليه سرقة التاج وتمهد سبيله اليه .

فهتف مسيو مارتان فى جزع : ياإلهى ! هذا أمر لم يجر ببالى حقا .!

فقال جوشارد : ان فخامة الدوق محق فيما يقول إذ من المحتمل أن لوبين لم يبعث اليك بهذه البرقية إلا لكى يحملك على مغادرة القصر والتاج معك إلى مكان خال من أسباب الحماية والدفاع .

وغمغم المليونير يقول : ياإلهى .! ان هذا جائز حقا . !

وفتح الحقيبة التى أودعها التاج ولكن بدا التردد على وجهه وقال يخاطب الدوق : أتسمح بكلمة صغيرة ؟

وقاده من ذراعه إلى الغرفة المجاورة فلما خلا بهما المكان مال اليه يقول :

— اننى أرتاب الآن فى كل انسان .

فابتسم الدوق وقال : اننى استغرب هذا فاننى أرى كل واحد يرتاب فى سواه . فهل أنت موقن من انك لاترتاب فى . ؟

— أوه ! دع عنك المزاح فليس هذا أوانه ، ولكن خبرنى برأيك فى جوشارد ؟

فقال الدوق متسائلا ! رأيى فى جوشارد .. ماذا تعنى . ؟

— أيمكننى أن أضع فيه ثقتى . ؟

— اننى أعتقد هـذا ، ومع ذلك فسأكون موجوداً فى القصر وسأراقب جوشارد ، فاذا حاول أن يفر بالتاج دققت عنقه بكل سرور .

ففكر المليونير برهة ثم قال :

— حسناً .. ! سأضع فيه ثقتى إذن .

وفى الوقت الذى مشى فيه الدوق والمليونير الى الغرفة المجاورة دنا جوشارد من جرمين مغتنما فرصة انفرادها وقال لها : أليست هذه صورة فخامة الدوق .. ؟

وأراها صورة الصبى الواقف الى جوار فيكتوار ، فقالت الفتاة : انها غير واضحة تماماً .

— لقد التقطت منذ عشر سنوات .

— اننى أعرف وجه المرأة ، ولـكن اذا كانت هذه هى صورة الدوق منذ عشر سنوات فانها ضعيفة الشبه به.

فقال جوشارد: ولـكن أليست تشبهه ؟

— نعم .. انها تشبه الدوق كما هو الآن ، ولـكنها لاتشبهه كما كان منذ عشر سنوات .. لقد تغير كثيراً .

فقال جوشارد فى لهجة ذات معنى : إذن فقد تغير الدوق كثيراً . ؟

— نعم .. لقد كابد كثيراً من جراء رحلته الشاقة الطويلة ثم هذا المرض الخطير الذى أصابه . ! لقد فقد الأطباء كل رجاء فى شفائه .

— حقاً . ؟

— نعم .. وكان هذا فى مدينة مونتفيدو .. ولـكنه قد استعاد صحته الآن .

وفتح الباب فى هذه اللحظة ودخل المليونير وفى أثره الدوق كارميراس فابتعد جوشارد عن جرمين وأخفى الصورة فى جيبه

وأخرج مسيو مارتان من الحقيبة العلبة التى يحفظ فيها التاج وفتحها وهو يقول : انظر يامسيو جوشارد ألا تراه جميل الشكل .؟

— انه تحفة نادرة.!

— واننى أعهد اليك بهذه التحفة . ! إننى أضع فيك كل ثقتى .! أنت حارسى والمدافع عنى . ! فهل لك اعتراض على ذلك . ؟

كلا .. مطلقاً .. بل لقد كان فى نيتى أن أسألك أن تعهد إلى بالتاج . .

وبدأ التردد مرة أخرى على مسيو جورناى مارتان ولـكنه قدم التاج أخيراً إلى جوشارد وهو يقول :

— مسيو جوشارد .. إن لى فيك ثقة عمياء .

فقال جوشارد مجيباً : شكراً لك

ولما هم المليونير وابنته بالانصراف قال الدوق :

— اننى أحس حاجة ماسة إلى النوم ولهذا أوثر أن أنصرف . مساء الخير يامسيو جوشارد .

ولـكن جوشارد صاح به متوسلا:

— أرجوك ألا تذهب ياصاحب الفخامة .

— ولم لا . ! انك لاتريد منى أن أبقى .!

فقال جوشارد على مهل : بل أريد منك أن تبقى .

ولكننى أوثر أن آوى إلى فراش وأنام ملء عينى .

فقال جوشارد فى لهجة تنم على التحدى . التحدى المثير .

— هل أنت خائف . ؟

وساد الصمت برهة وعبس الدوق قليلا ثم رفع رأسه وقال : لقد اهتديت اذن يامسيو جوشارد الى الطريقة التى ترغمنى بها على البقاء .! سأبقى لكى أثبت لك اننى لا أخاف أحداً .. حتى ولا أرسين لوبين .

فقال مسيو مارتان : نعم .. إبق هنا .. انك خير من يصلح لمعاونة مسيو جوشارد .

فقالت جرمين : لا تنس ياجاك انك ذاهب معى غداً الى مرقص الأميرة فينبغى أن تصيب حاجتك من النوم ، انك بالأمس لم تنم مطلقا ، فقد زايلت قصر كارميراس فى الساعة الثامنة ولم تبلغ باريس إلا فى الساعة السادسة صباحا ، ولا أشك فى انك أنهكت قواك بقيادة السيارة طوال الليل .

فقال جوشارد فى صوت خافت : أوه . ! إذن فقد ظللت طول الليل تقود السيارة . ! من الثامنة مساء الى السادسة صباحا .

وقال الدوق مخاطبا جرمين : اطمئنى فلن أتخلف عن المرقص غداً .

وبعد أن انصرف مسيو مارتان وابنته قال جوشارد :

— أتسمح لى ياصاحب الفخامة بأن أوزع رجالى على مواقف الحراسة . ؟

— بلاشك .. افعل مايحلو لك .

وغادر جوشارد القاعة ، وارتمى الدوق على أحد المقاعد يدخن سيجارته ، ثم أخرج ساعته فنظر فيها وغمغم يقول : ماتزال أمامنا عشرون دقيقة .. !

الفصل التاسع عشر

حين رجع جوشارد الى القاعة كان هدوءه قد زايله ولم يعد يبدو رابط الجأش كما كان بل لاحت عليه أمارات الانفعال وجعل يذرع المكان فى خطوات مضطربة عصبية . ثم وقف بغتة وقد أولى ظهره ناحية الموقدة.

فقال الدوق محذراً : ليس من الحكمة أن تولى الموقدة ظهرك فان لوبين ان هبط بغتة من المدخنة استطاع أن يثب عليك قبل أن تتهيأ للقائه .

فقال جوشارد مجيباً اننى موقن أن فخامتك ستبادر الى مساعدتى !

وكانت فى صوته نبرة غريبة واستقرت عيناه على وجه الدوق يتفرس فيه فاحصاً

فقال الدوق هذا مجرد تحذير ليس إلا . ألا ترى أن الموقف يثير الأعصاب ويبعث الاضطراب ؟

— بلا شك .. وأنت الآن على حال لا تصلح لمثل هذه المواقف فلو انى عرفت أن سيارتك أصيبت بعطب فى الليلة الماضية لترددت فى أن أسألك البقاء .

فقال الدوق : عطب ؟

— بالطبع . لقد غادرت كارميراس فى الساعة الثامنة مساء ولم تصل باريس الا فى الساعة السادسة صباحا . لاريب انها سيارة ضعيفة القوة

— انها قوة مائة حصان .

— إذن مامن شك فى أنها أصيبت بعطب فى الطريق

فهز الدوق كتفيه بلا مبالاة وقال: لقد أعاقنى هذا الخلل ثلاث ساعات . . نعم على الأقل ثلاث ساعات:

- لم يكن معك أحد يساعدك فى اصلاح هذا الخلل ؟

— لقد أبى مسيو مارتان أن يأذن لسائقه بمرافقتى إذ استبقاه فى قصر كارميراس ليقوم بحراسته . وكان الطريق خاليا من المارة لأن الساعة إذ ذاك كانت قد جاوزت الثانية بعد منتصف الليل .

فقال جوشارد مؤيدا : بالطبع كان الطريق خاليا من المارة .

ولـكن لهجته تنم على عدم التصديق .

وأخرج الدوق علبة سجائره وهو يقول : أتدخن ؟

— شكراً لك .

وعبر القاعة على عجل وتناول سيجارة من علبة الدوق ونظر فيها برهة ثم قال : أليس هذا غريبا ؟

فقال الدوق يسائله : عم تتحدث . ؟

— على كل شىء .! ان كل شىء يبدو فى عينى عجيبا . سجائرك .. أزهار السلفيا . الصورة الفوتوغرافية التى وجدت فى مخدع فيكتوار .. الرجل الذى غادر هذا القصر فى الصباح الباكر وهو فى ثياب قيادة السيارات . وأخيرا هذا العطب الذى أصاب سيارتك !!

وكان جوشارد كلما مضى فى حديثه نم صوته عن روح الاتهام والشك .

وانتفض الدوق واقفاً وقال فى انفة وكبرياء

— مسيو جوشارد .! يلوح لى انك أفرطت فى الشراب حتى فقدت صوابك .؟

ومشى إلى حيث وضع معطفه وقبعته وتناولها ولـكن جوشارد اعترض طريقه وهتف يقول .

— كلا .. لاتذهب .! لاتذهب .!

— ماذا تعنى؟

فتراجع جوشارد إلى الوراء ومر براحته على جبينه وغمغم فى صوت مضطرب وقد شحب لونه :

— كلا . كلا . أسألك المعذرة . أسألك المعذرة ياصاحب الفخامة . الاريب اننى فقدت صوابى ! اننى أهذى

فقال الدوق فى برود : هذا هو مايلوح لى .

فقال جوشارد فى صوت مضطرب : اننى أردت أن أقول .. أن أقول .. أن أرجوك أن تبقى معى .. ساعدنى أنصرنى ضد لوبين .. هل ترضى بمساعدتى ؟

فقال االدوق فى صوت رقيق : اننى أرضى بالطبع .. ولكنك مضطرب الأعصاب وأخشى ان تسرى العدوى إلى .

— نعم اننى مضطرب الاعصاب فأسألك الصفح .

— حسنا . لقد انتهى كل شىء اذن .. ولـكن ماذا تنوى أن تصنع الآن؟

فأخرج جوشارد منديله ومسح جبينه وقال مغمغما :

— نعم . ماذا نصنع الآن . ! هل التاج موجود فى هذه العلبة ؟

— بالطبع انه فيها .

ولـكن جوشارد لم يطمئن إلى الأمر إلا حين فتح العلبة فبدت الجواهر ترسل بريقها الذى يبهر الأبصار فقال — نعم .. ان التاج مازال فى العلبة . ! هل تراه ياصاحب الفخامة . ؟

— طبعا اننى أراه .

— اذن فلننتظر .

— ننتظر أى شىء ؟

فكان جواب جوشارد : ننتظر قدوم ارسين لوبين .

— لوبين . ؟ وهل تعتقد حقاً انه سينفذ وعيده . . هل هى قصة خرافية فاذا مادقت الساعة منتصف الليل اختفى التاج .؟

— نعم اننى موقن من هذا .!

— هذا أمر مثير .!

— فقال جوشارد فى صوت أجش : أموقن أنت أن الانتظار لايضايقك . ؟

كلا .. بالطبع . إننى متلهف الى التعرف بهذا البطل الذى دوخك عشر سنوات دون أن تنال منه منالا .. اننى موقن أنها ستكون سهرة لذيذة ممتعة

فقال جوشارد فى شىء من الانفعال : بل الذى نتصور .

فابتسم الدوق ابتسامة تنطوى على التحدى وقال : وهل لذت لك أنت أيضا . ؟

وجلس الدوق على مقعد إلى جوار الطاولة وجلس جوشارد الى جوارها من الناحية المقابلة واستند بمرفقيه على حافتها ولبثا صامتين .

— وقال الدوق بغتة . انى اسمع وقع أقدام . !

فانتفض جوشارد وقال . كلا اننى لا أسمع شيئاً.

ولكن وقع الأقدام مالبث أن بدأ جلياً وأعقبه نقر على الباب فقال جوشارد . انك أحد سمعامنى ! لقد أظهرت فى هذه القضية من النبوغ مايرشحك لأن تكون بوليسا سريا ناجحا .

ومشى الى الباب ففتحه فاذا الطارق هو بونافنت .

وقال الشرطى : هاهى الأغلال ياسيدى ، أتحب أن أبقى معك ؟

— كلا . . هل وزعت الرجال كما أمرتك .؟

— نعم ياسيدى .

— رجلان عند الباب الخلفى ورجلان عند الباب الأمامى ورجل فى كل غرفة فى الطابق الأرضى . ؟

— نعم وهناك أيضا ثلاثة رجال فى كل طابق آخر .

— والمنزل المجاور ؟

— إن فيه عشرة رجال .

وكان جوشارد فى خلال هذا الحديث يتفرس فى وجه الدوق ، ولكنه لم يتبين فيه إلا عدم المبالاة .

— اذا حاول أى شخص دخول البيت فاقبضوا عليه ، بل أطلقوا عليه النار اذا استدعى الأمر ذلك .. هذه هى أوامرى المشددة فاذكرها لرجالك .

— ولما انصرف بونافنت قال الدوق مخاطبا جوشارد : لعمرى اننا فى حصن حصين . !

— بل انه أشد تحصينا من الحصون ياصاحب الفخامة : ان لدى أربعة رجال فى هذه الردهة. !

وأشار الى باب القاعة فقال الدوق فى شىء من القلق : حقا .

— أتكره ذلك ؟

— بالطبع كلا .. إذ يستحيل على لوبين مع هذه الحراسة القوية أن يقتحم هذه القاعة .

فقال جوشارد على مهل : نعم ، لن يكون الدخول سهلا كما كان يتصور .. إلا اذا خرج من جوف الارض أو إلا اذا.. وسكت فقال الدوق مقاطعا :

— أو إلا إذا كنت أنت أرسين لوبين !

فقال جوشارد فى هذه الحالة: ستكون أنت ياصاحب الفخامة أرسين لوبين الثانى !

وضحك الرجلان :

ونهض الدوق واقفاً وهو يتثاءب وتناول معطفه وقبعته وهو يقول سآوى الآن الى فراشى .

فصاح جوشارد : ماذا تقول ؟

— كان فى نيتى أن أبقى لكى أرى لوبين . . ! أما الآن — بعد هذه التحصينات — فما أظنه يستطيع الحضور.

— بل سيحضر . انى موقن من حضوره

فقال الدوق فى غير اكتراث : أما زلت متعلقا بهذه الأوهام ياجوشارد ؟

— بل سنراه حتما !

— كلام فارغ

نخفض جوشارد من صوته وقال ياصاحب الفخامة ! ان لوبين موجود هنا الآن فعلا

فصاح الدوق لوبين ؟ هنا ؟

— نعم .. لوبين هنا .

فقال الدوق وما زالت الدهشة مستولية عليه:

— أين هو ؟

فقال جوشارد على مهل . إنه متنكر

فقال الدوق باهتمام متنكر فى أى زى ؟ كأحد رجالك ؟

فقال جوشارد وهو يتفرس فى الدوق : لاأظن هذا .

فقال الدوق فى لهجة تدل على الظفر :

— ولكن مادام موجوداً هنا فسنقبض عليه حتما . سنظفر به حتما . ! لاشك انه سيقتحم هذه القاعة ووضع قبعته على الطاولة الى جوار التاج .

وقال جوشارد : انى أرجو ذلك . ولكن أتراه يجرؤ . ؟

— ماذا تعنى ؟

— لقد قلت فخامتك اننا الآن فى حصن حصين . ! ربما كان فى نية لوبين منذ ساعة أن ينفذ وعيده أما الآن فلا أظنه يجرؤ .

— آه . أهذا ما تعنى اذن . ؟

— نعم . ان الشيطان نفسه لن يجرؤ على المخاطرة إلى هذا الحد . ولكن مارأيك أنت في هذا . ؟

وكانت فى صوت جوشارد نبرة غريبة . هى مزيج من القلق والتحدى . ونظر الدوق اليه كأنما يريد أن يقرأ مافى ضميره . ثم أجاب قائلا بلامبالاة :

— أتسألنى رأيى وأنت الذى عرفت لوبين عشر سنوات . ؟ عرفته على السماع على الأقل .

وازداد قلق جوشارد وضوحا فى وجهه وقال فى صوت أجش مضطرب : نعم لقد عرفته طويلا .. وعرفت أيضا طرقه فى التمثيل . ! لقد فهمت مناوراته وتعلمتها فى خلال السنوات العشر الماضية . ! وفى وسعى الآن أن أتنبأ بخدعاته قبل أن تقع . انه رجل جرئ ! انه لايهرب من خصمه بل يفاجئه ويسدد اليه ضرباته الصائبة .. «وعلى المكشوف» . وهو رجل بارع . نابغ . ولقد خدعني طويلا وحيرنى وضللنى . ! ولكننى الآن قد

كشفت خباياه . أنك تبتسم . ؟

فقال الدوق مجيباً : نعم . فهذا حديث طريف يلذ لى .

واستطرد جوشارد يقول وقد لاحت عليه آمارات غضب مكتوم . وانه ليلذ لى أنا أيضاً . ولكننى فى هذه المرة أرى طريقى جليا . . لاخدعات ولا ألاعيب . ! ولا طرقا سرية . ولا مسارب تحت الأرض ولا بابا خفياً . . ان المعركة اليوم تدور فى وضح النهار . ان لوبين جرىء . ولكنها جرأة لصوص . !

فقال الدوق وقد التمعت عيناه بغتة ـ أهذا رأيك حقاً ؟

فقال جوشارد متحديا ـ نعم . جرأة لصوص . ولكنه شخص عادى ضيق الذهن . !

فقال الدوق فى هدوء ـ ان الكمال ليس من صفات الانسان .

فقال جوشارد فى ازدراء ـ هذه الخدعات . وهذه الألاعيب . وهذه الحيل . كلها سخيفة يمكن أن تتفق لأى ذهن عادى .

فقال الدوق وهو يبتسم فى احتقار ـ يخيل الى انك قد شططت؟

وجعل كل من الرجلين يتفرس فى صاحبه

وقال الدوق وهو يبتسم ـ ولكن لوبين قد أتى أعمالا لابأس بها .

فقال جوشارد فى احتقار ـ حقاً ؟ ماهى هذه الأعمال ؟

ـــ يجب أن تكون منصفاً ياجوشارد . . ان سرقة الامس كانت « لعبة متقنة . ! وسرقة السيارات أيضاً . فعبس جوشارد ولم يقل شيئا واستطرد الدوق يقول ـ وسرقة المفوضية الانجليزية وسرقة الخزينة وكذلك سرقة مسيو ليبان . ! لقد وقعت كلها فى أسبوع واحد . ودل تدبيرها على عقل راجح .

فصاح جوشارد ـ كلا . . كلا . . ولكن . .

ـــ وهل نسيت خدعته الظريفة يوم تنكر فى زيك أنت . ! هل يمكن الانسان أن يتصور أن أرسين لوبين يجرؤ أن يتنكر فى زى جوشارد العظيم؟

فقال جورشارد على عجل . بل لقد فعل ماهو أعجب من هذا فلم لاتتحدث عن ذلك . ؟

فقال الدوق يسائله . أى شىء تعنى . ؟

فقال جوشارد على مهل وهو يتفرس فى وجه الدوق

اننى أعنى خدعته الظريفة يوم تنكر فى زى الدوق كارميراس

فصاح الدوق . ماذا تقول . ؟ أفعل هذا حقا . ؟ ولكن الأمر ليس غريبا على أية حال فانى مثلك من السهل أن يقلده

واستطرد جوشارد فى هدوء . وألذ مافى هذه الخدعة ياصاحب الفخامة انه مشى فيها حتى أوشك أن يتزوج على اعتبار انه الدوق كارميراس

وقال الدوق . ولكننى أستغرب أن يقدم لوبين على الزواج فان الحياة الزوجية لاتلائم أمثاله

وما الذى يقعده عن هذا الزواج وفيه ثروة كبيرة وفتاة جميلة . ؟

ـــ ربما كان يحب فتاة أخرى . ؟

فقال جوشارد فى ازدراء . وربما لصة من طرازه . . ولكن الغريب أن هذا الغرام كشفه . ! لقد فضح سره فاستطاع البعض أن يعرف أن الدوق كارميراس هو لوبين . ! وهو الآن فضح نفسه بنفسه بسبب افتتانه بهذه الفتاة السارقة . ؟

وقال جوشارد فى لهفة ذات معنى . ياللفرق الشاسع .! لقد كان فى نيته أن يذهب غداً الى مرقص الأميرة ولـكنه بدلا من ذلك سيذهب الى السجن .! بل سيذهب الليلة ! نعم ٠ الليلة ٠ !

وعلا صوت جوشارد وقال فى لهجة تدل على الظفر ٠ نعم ٠ سأزجه الليلة فى السجن والاغلال فى يديه ٠! لقد آن الأوان لـكى ينتقم جوشارد ٠ ! جوشارد الغبى كما كان لوبين يسميه ٠ ! قد لا يحفل لوبين بالسجن ٠! ولـكن السجن بالنسبة الى الدوق كارميراس كارثة ٠ ٠ كارثة أليمـة ٠ ! هيا ٠ ٠ تـكلم ياصاحب الفخامة ٠! الا تجدها قصة لذيذة مسلية

فنهض الدوق واقفا وقال فى برود هذا يكفى ٠ !

وانتفض جوشارد واقفاً أمامه وصاح حقاً ؟

فقال الدوق فى بساطة: نعم انها قصة مسلية تلذ لى .

— وتلذ لى أنا أيضا .

فقال الدوق فى هدوء بل أنت خائف ؟

فضحك جوشارد وقال خائف ؟

— نعم . انك خائف ! وانني أراك أيها الشرطى قد تجاوزت الحـد ! إلا أنى أصغيت اليك ونزلت من مكانتى الى مستواك تحسب اننى قد رفعت القناع عن وجهى ؟ اننى لا أستر وجهى بقناع حتى أرفعه ! أفهمت ؟ اننى الدوق كارميراس .

فصاح جوشارد فى انفعـال انك تـكذب . ! انك تـكذب ! أنت أرسين لوبين ! أنت لوبين ! اننى أعرفك حق المعرفة .

فقال الدوق فى ازدراء أفى وسعك ان تبرهن على ماتقول ؟

— سأبرهن .

ـــ انك لن تستطيع ! اننى الدوق كارميراس .

فضحك جوشارد فقال الدوق . لاتضحك يابنى العزيز ! إنك لاتعرف من أمرى شيئا .

فصاح جوشارد فى لهجة تدل على الانتصار .

ـــ بنى العزيز .. هذه جملتك المألوفة !

ـــ أتريد يارجل أن تقول إنك ستوجه الى التهمة لأننى أستعمل جملة « بنى العزيز » . . ! ياللسخافة . . ! ومع هذا فاننى لا أخشاك . ! يمكنك أن تقبض على أرسين لوبين ولـكنك لن تستطيع أن تقبض على الدوق كارميراس ، رجل من أبرز النبلاء شخصية ، وعضو فى نادى الجوكى وفى نادى الاتحاد ومقيم بحى النبلاء ، وخطيب ابنة المليونير جورناى مارتان .! لعمرى انك لن تستطيع أن تقبض على الدوق كارميراس .

فصاح جوشارد وقد شحب لونه واستولى عليه الغضب : لص .! سافل . !

فقال الدوق يستفزه : اقبض على اذا استطعت .. اجعل نفسك أضحوكة العالم .. هيا ادع رجالك ، ولـكن لاتنس أن ليس لديك ضدى أى دليل .

— ولـكننى سأجد هذه الأدلة . !

— اننى لا أرتاب فى هذا .! قد يكون فى وسعك أن تهيئ الأدلة وتقبض على فى الاسبوع القادم أو بعد ثلاثة أيام أو غداً ، أما الليلة فلن تقبض على ، أفهمت !؟

فصاح جوشارد : ليت سواى يسمعك ويكون شاهداً على ماتقول .!

— اصغ إلى ياجوشارد .! يجب أن تهدأ بالا ، إن هذا الاضطراب لن يفيدك دليلا ضدى ، لقد صدق مسيو فورمرى حين قال انك تفقد صوابك اذا ما ترددت سيرة لوبين . !

فقال جوشارد فى قنوط : على أية حال حسبي انك لم تسرق التاج .

فضحك الدوق وقال : انتظر يابنى العزيز .! تريث قليلا وسوف ترى . ! أتعرف ماذا وراء هذا الباب . ؟

وأومأ بيده إلى باب الغرفة المجاورة ، فاستدار جوشارد على عجل وقد اتسعت حدقتاه ونظر الى الباب فى اضطراب وهو يقول : ماذا .؟ ماذا وراءه . ؟

فضحك الدوق طويلا وقال : يالك من جبان .!

وغاظ جوشارد أن يكون الدوق قد هزأ منه وقال ساخطا : تعسا لك .!

— انك مسكين ياجوشارد .. ! اننى أرثى لك .

فمسح جوشارد جبينه الذى تصبب عرقا وقال الدوق مستطرداً : وكلما قاربت الساعة منتصف الليل ازداد رعبك وفزعك . !

وسكت ثم صاح بغتة : حذار .!

فانتفض جوشارد فزعا ولما رأى الدوق يضحك منه ساخراً غمغم يقول : عليك اللعنة :

— انك لخائف فزع وانى لألتمس لك عذرا فان أثبت الرجال جنانا لا يستطيع أن يصمد أمام هذا الشىء المجهول . ! فمن ذا الذى يدرى ماسوف يقع فى اللحظة التالية .؟ بعد دقائق . فى الموعد المضروب سيقع شىء رهيب . هذا أمر لامفر منه .! لاتهز كتفيك استخفافا أيها الرجل فان وجهك ممتقع خوفا .

ولم يعد الدوق فى هذه اللحظة هو ذلك الرجل الوديع المرح بل انقلب رجلا آخر رهيب الصوت بادى القوة فى عينيه صرامة تبعث الرعب وتشيع القلق فى نفس من ينظر اليها .

وقال جوشارد فى صوت مضطرب أجش.

— إن رجالى فى الخارج . . وهم مسلحون .!

فقال الدوق فى نفس الصوت العميق الصارم .

— يابنى العزيز . هل نسيت أنه فى الوقت الذى تتنبأ فيه بكل شىء . وتتهيأ بكل شىء . وتدبر فيه كل شىء . فى هذا الوقت قد يقع حادث ما . حادث رهيب غير متوقع يفسد تدبيراتك كلها . !

فتمتم جوشارد يقول : اعترف اذن بأنك لوبين .!

فابتسم الدوق وقال : لقد ظننتك موقنا من الأمر فاذا بك تنتظر منى اعترافا.!

— ليت شعرى ماالذى يمنعني من أن ألقى القبض عليك!

— اذا كنت ارسين لوبين فهيا اقبض على .

— سأقبض عليك بعد ثلاث دقائق الا اذا تعهدت بألا تمس التاج .

فقال الدوق فى لهجة تنطوى على التحدى :

— بعد ثلاث دقائق سيسرق التاج . ولن تقبض على .

فصاح جوشارد متوعداً : بل سأقبض عليك . ! أقسم اننى سأقبض عليك .!

— يمين كاذب .! لم تبق الآن إلا دقيقتان . .

وأخرج الدوق مسدسه من جيبه فصاح به جوشارد وقد شهر مسدسه : لا تطلق النار وإلا أرديتك .!

فضحك الدوق وقال : هذا عجيب .! لقد أخرجت مسدسى لكى أتهيأ لمقابلة لوبين .! لم تبق الآن إلا دقيقة واحدة . !

— ان معى كثيرا من الشرطة .

ومشى الى الباب فقال الدوق : جبان ! أترهب لوبين !؟

فرجع جوشارد عن الباب وقال : اذن فلن استعين بأحد !

— هذه حماقة منك

وعض جوشارد على شفتيه غيظا وكان العرق يتصبب من على جبينه بارداً . وقد بدت عليه امارات الانفعال والهياج العصبي وصوب مسدسه الى الدوق وهويقول : عندأية حركة تبدر منك لن أتردد فى اطلاق الرصاص .

— اذا فعلت هذا قبض عليك فى الحال .! لأننى الدوق كارميراس انى لست أرسين لوبين !

— انني لا ابالى .

— امامنا الآن خمسون ثانية . !

فقال جوشارد وهو ينقل نظراته بين الدوق والتاج . إحذر لنفسك اذن .

— بل احذر أنت بان التاج سيسرق الآن

فصاح جوشارد لن يسرق !

فقال الدوق فى هدوء بل سيسرق

— كلا كلا . لن يسرق . لن يسرق ..

ونظر جوشارد إلى الساعة واستبطأ مرور الوقت .

وبدأت الساعة ترسل دقاتها وجوشارد ينتفض ويرتعد فى اضطراب :

ولما أتمت الساعة دقاتها الاثنتى عشرة وثب الدوق الى المنضدة التى فوقها التاج . وظن جوشارد أنه سيخطف التاج فوثب فى أثره ولكن الدوق قال باسما : أتسمح لى بقبعتى !

وتناول قبعته الموضوعة الى جانب التاج فغمغم جوشارد يقول : عليك اللعنة لقد أفزعتنى !

ثم تناول التاج وقال فى لهجة تدل على الظفر : لقد عجزت عن سرقة التاج ياأرسين لوبين !

فابتسم الدوق وقال بلا مبالاة : ان الظواهر تدل على ذلك ... ولكن أموقن أنت من أنى لم أسرقه حقا!

فضحك جوشارد وقال . وأى دليل أكبر من هذا ؟ ألا تراه فى يدى !

— لقد كنت أظنك ياجوشارد أشد فطنة من هذا ! أما لاحظت أن هذا التاج الذى فى يدك أخف وزنا من المعتاد ! ؟

فصاح جوشارد فى فزع ماذا تقول .؟

— هذا التاج الذى معك مقلد . ! تاج مزيف . !

ونظر جوشارد إلى التاج فى رعب فأيقن على الفور أن حجارته من الزجاج فصاح فى صوت مختنق : بونافنت . ديوزى . ادخلوا .

وأقبل نفر من رجال الشرطة مسرعين فقال لهم الدوق فى صوت حزين . أيها السادة لقد سرق التاج . ! فتصاعدت منهم أصوات تنم على الدهش والاستغراب والتفوا حول رئيسهم يسألونه عما حدث . ولم يجب جوشارد على هذه الاسئلة وانما انفجر يبكى اذ كان ماكابد فى هذه الساعة الأخيرة من انفعالات واضطرابات قد أحاله مرهق الأعصاب تنوء بأى حادث جديد يقع .

ولما ملك روعه قال يخاطب من حوله : أين هو ؟

من تعنى ؟

فصاح جوشارد . الدوق الدوق .

— لقد انصرف ..

— انصرف .. ! انصرف .. ! أسرعوا فى أثره .. إلحقوا به ..! اقبضوا عليه . . . ! انه ليس الدوق بل هو أرسين لوبين ..! !

الفصل العشرون

يقع بيت الدوق كارميراس في شارع الجامعة وقد أثث على أسلوب يدل على سلامة الذوق . وكانت غرفة التدخين تقع فى الطابق الارضى أما المخدع فكان فى الطابق الثانى .

ولم يكن فى البهو الذى يفضى الى المخدع ما يلفت النظر إلا هذا المصعد الذى يشغل مكانا منه . ففى ركن الغرفة ترى بابا من الحديد يفتح على « البئر » الخاص بالمصعد . والى جوار هذا الباب رفوف ملآى بالكتب إذا ضغطت بطريقة خاصة تحركت حتى تستقر فى وضع تحجب وراءها باب المصعد فلا تقع عليه العيون .

وفى هذا المخدع كنت ترى مسيو كاروليه ذلك الرجل الذى زار قصر كارميراس يوما وأبدى رغبته فى شراء احدى سيارات مسيو جورناى مارتان ثم انتهى به الأمر مع أبنائه بأن سرق السيارتين ، ولكنه كان الآن يبدو على هيئته الطبيعية وقد أزال التنكر الذى لجأ اليه عند مقابلة مسيو مارتان .

وكان موجودا فى نفس القاعة ابنه برنارد كاروليه وكذلك مدام فيكتوار .

وكانت الثلاثة يتبادلون الحديث عن ارسين لوبين فى خوف وجزع وهم يعجبون كيف تأخر عن الحضور وقد بلغت الساعة السابعة صباحا

وكلما سمعوا صوتاً أو حركة ظنوه قد رجع .

وقال مسيو كاروليه : أغلب ظنى ان الشرطة يطاردونه ولهذا لم يجرؤ على العودة الى داره

فقالت مدام فيكتوار : نعم .. ليت شعرى ما العمل الآن . !

— نعم ، ما العمل اذا هاجم البوليس البيت وفتش أوراق لوبين .! هل نعدمها أم نبقى عليها . ؟

— و اذا حضر البوليس قبض على بلاشك .

فقال برنارد : ألا يحتمل أن يكونوا قد قبضوا على لوبين . ؟

فصاحت به فيكتوار : حسبك نعيباً : .

ودنا كاروليه من النافذة وقال : انني أرى شرطياً سريا وأحد رجال البوليس يجريان .

فقالت مدام فيكتوار على عجل : وإلى أين يتجهان ؟ الى هذا البيت ؟

— كلا ، لقد وقفا يتحدثان الى الشرطيين السريين اللذين يراقبان هذا البيت . . انهم جميعاً يركضون .. يا إلهى .. انهم يركضون الى هذه الناحية .

— ويلاه . ؟ ما العمل الآن وهو غير موجود ؟ !

ودق إذ ذاك جرس الباب الخارجى بشدة فجمدت الثلاثة فى أماكنهم وقد لاح الفزع فى وجوههم :

وفى تلك اللحظة سمعوا دوى المصعد ثم فتح الباب الحديدى بغتة وخرج من المصعد الدوق كارميراس .

ولكنه لم يكن ذلك الدوق الذى عهدناه من قبل مرحاً ظريفاً وانما كان شاحب الوجه منهوك القوى يكاد

يسقط على الأرض إعياء، وبدت ثيابه ممزقة ملوثة بالأوحال، وكان يتنفس فى صعوبة ويلهث تعباً.

وصاح كاروليه فى ابتهاج: الزعيم.! لقد حضر الزعيم..

وقالت فيكتوار فى حزع: ماذا بك؟ أمريض أنت.!

— كلا. كلا.

ودق جرس الباب الخارجى فرفع لوبين رأسه وقال: كاروليه.. هيا افتح الباب.. ولكن على مهل. تظاهر بانك تجذب الرتاج.. برنارد. احجب المصعد فيكتوار هيا اختبئ.

ثم دخل الى مخدعه وأغلق الباب خلفه.

وتباطأ كاروليه فى فتح الباب على رغم رنين الجرس المتواصل. ولكنه حين فتحه دخل الشرطيان السريان بونافنت وديوزى يركضان، أما رجل البوليس فقد وقف عند الباب يخفره.

وقال ديوزى: لن يهرب منا الآن مادام قد رجع الى بيته.

فقال بونافنت: ولكن أموقن انت انه هو بعينه.؟

— انى أستطيع أن أقسم على ذلك.

وصعدا الدرج يجريان وفى أثرهما كاروليه الذى اعترض طريقهما وصاح بهما: ماهذه الضجة.! ان فخامة الدوق مستغرق فى نومه.!

فقال ديوزى ساخراً: مستغرق فى نومه.! لقد أمضى الليل يجرى وانه ليحسن الجرى.!

وفتح باب المخدع فى هذه اللحظة وبرز على عتبته لوبين وقد ارتدى «الشبشب» والبيجاما.

وقال فى صوت يدل على الغضب: ماهذه الجلبة.؟ اننى أعرفكما! ألستما من مساعدى جوشارد؟

وكان شعره منفوشاً وعيناه تنمان على انه استيقظ منذ لحظات من نوم عميق.

وقال بونافنت وهو ينظر اليه فى دهش: نعم ياصاحب الفخامة.

— ماذا تريدان؟

— لاشىء. لاشىء ياصاحب الفخامة. انها غلطة.!

فقال الدوق فى كبرياء: انها إذن غلطة جوشارد..! وسأعرف كيف أؤدبه. أما أنتما فانصرفا الآن.

ثم أولاهما ظهره ودخل إلى مخدعه.

وقال ديوزى وهما فى الطريق: لقد أخطأ جوشارد.! هذا هو الدوق أما لوبين فرجل آخر.

فقال بونافنت مؤيداً: بلا شك.! كيف يقضى الليل وهو يجرى ثم تلوح عليه أمارات النعاس بهذا الشكل؟ لقد أخطأ جوشارد فليس هذا هو لوبين الذى كنا نطارده طول الليل.

وما انصرف الشرطيان حتى تهالك لوبين على أحد المقاعد وأغمض عينيه اعياء. وأسرعت اليه فيكتوار وقد طار قلبها انزعاجا عليه. وأمرت كاروليه أن يعد له طعام الفطور. وقالت فيكتوار فى حنان: ماذا جرى! هل أفزعك هؤلاء الملاعين؟

— نعم. لقد أفزعونى. لقد كانت ليلة رهيبة.

وحدثها لوبين بما وقع وكيف اغتنم استغراق مسيو جورناى مارتان فى النوم ففتح الخزانة بالمفتاح المسروق ووضع التاج المزيف مكان الحقيقى. وكيف غادر البيت بعد ذلك لكى يخفيه فى مكان امين.

ثم حدثها بما كان من تدبيره خدعة مركبة السجن ومساعدتها هى — أى فيكتوار — على الفرار وكذلك مساعدة سونيا.

واستطرد يقول : وكان فى وسعى أن أغادر البيت عقب ذلك مادامت كل خططى قد نجحت . ولكنني آثرت البقاء لكى أغيظ جوشارد وأعبث به . فلما ارتاب فى وأشفيت نفسى تهكما عليه غادرت البيت بعد منتصف الليل . ولكننى لم أغادره فى هدوء وعظمة شأن الدوقات وانما انطلقت أجرى وكانت هذه أكبر حماقة ارتكبتها إد انطلق فى أثرى رجال الشرطة يطاردوننى طول الليل وأنا أجرى ملء سرعتى حتى أدركنى الاعياء وخشيت أن يقبضوا على فلما بلغت نهر السين خطر لى أن أقذف بنفسى اليه وأنتحر ولكننى تابعت الجرى وقد ضاعفت الجهد حين رأيت أن مطاردى قدبدأوا ينكصون.! ومرت ساعات طويلة وأنا أجرى حتى بلغت ضواحي باريس وهناك كف المطاردون عن محاولة اللحاق بى .. وهاآنذا قد عدت اليكم من الباب السرى لكى أراك وأرى سونيا :

فقالت مدام فيكتوار : سونيا .! أوقعت فى غرام امرأة اخرى .! أوه . ! إن المرأة هى التى تزج بك فى الأخطار .! انني موقنة انه لولا هذه المرأة سونيا لما انكشف سرك .!

فضحك لوبين وقال : ولكنها امرأة جميلة . !

— لقد كن جميعا جميلات .!

الفصل الحادى والعشرون

حين فرغ من طعامه واحتسى قدح القهوه الذى قدم اليه استرد وجهه لونه الطبيعى .فرأت مدام فيكتوار أن قد حان الوقت لكى تسديه النصح . فمضت تلح عليه بأن يقلع عن هذه الحياة الحافلة بالأخطار وقالت له .

— ماالذى أجدت عليك حياة اللصوصية .! لاأمل لديك ولا مكانة لك .! وما عسى كانت تقول أمك لو أنها رأتك تسلك هذا الطريق الوعر . !

فقال لوبين : ماأظنها كانت تستغرب الأمر لقد طالما حدثتها بأننى سأنتقم من العالم على ماأنزل بها من ظلم واضطهاد

ـ لقد بدأت تسرق وأنت طفل صغير؟

— ولكننى ما كنت أسرق إلا السكر .

فقالت مدام فيكتوار : نعم .. لقد بدأت بأن سرقت السكر وانتهيت بأن سرقت التيجان . . ! ما الذى أجدت عليك حياة اللصوصية .. ؟

فقال أرسين لوبين : فيكتوار ! انك تعرفين انني لست خاملا ، لقد ظفرت باجازة الطب والمحاماة ، وقد مارست كل المهن ، لقد اشتغلت ممثلا ، ومدرساً ، وبوليساً سرياً ، ثم زججت بنفسى فى الأوساط الاجتماعية ، ومع هذا فما وجدت ألذ وأمتع من أن أكون لصاً .. حياة حافلة بالفكاهة و ..

— الفكاهة ؟!

— نعم ... اننى أضحك ملء شدقى وأنا أرى الأغنياء الأشحاء يكادون يموتون جزعاً حين أسلبهم شيئاً من المال ، وانني أضحك ملء شدقى حين أرى جوشارد يضطرب بين يدى .!

— ولكن هذه الأخطار التى تزج بنفسك فيها . ؟

— لقد انتهى كل شىء ولن أسرق ثانية ، اننى عاشق وسأتزوج . .!

— حقا . !

— وستكون زوجتى هى سونيا كريتشوف . ! لقد امتدت يدها الى السرقة مرات ، ولكن لديها من

المبررات ماهو أقوى من مبرراتى . !

ودق جرس التليفون فاذا هى جرمين تدعوه الى مقابلتها فى فندق ريتز فوعدها بأن يوافيها .

وقالت فيكتوار : انه فخ منصوب لك فلا تذهب . !

فهز كتفيه وقال فى استخفاف . اننى لا أبالى ؟ سأكون حذراً . وصدقينى انه لو كان لدى جوشارد الدليل المادى ضدى لما انتظرنى فى فندق ريتز بل لأسرع إلى القبض على فى هذا البيت . ان الأدلة موجودة فى هذه الخزانة .

وأشار الى خزانة مثبتة فى الجدار .

— فى هذه الخزانة التاج المسروق وشهادة الوفاة الخاصة بالدوق كارميراس .

وأخرج التاج من الخزانة وكذلك محفظة جيب صغيرة بها رزمة من الأوراق وقال : من حسن حظى اننى احتفظت بشهادة الوفاة وإلا لاتهمنى جوشارد بأننى قتلت الدوق كارميراس .

فقال كاروليه . وكان فى وسعك أن تقتله على أهون سبيل بان تدع النافذة مفتوحة حين كان مريضا فيقضى عليه تيار الهواء . ولكنك بدلا من هذا سهرت على راحته وعلاجه .

— لقد أحببته لأنه كان شديد الشبه بى وحين هاجمت قصر كارميراس منذ ثلاث سنوات ورأيت صورته أدهشنى مابيننا من تشابه عجيب ولهذا انتزعت الصورة واحتفظت بها .

— ولقد استفدت منها بعد أن مات الدوق .

— نعم . لقد استغللت مابيننا من تشابه انتحلت شخصيته والآن يجب أن أتخلى عنها .

ونهض لوبين وهو يقول : يجب أن أبدل ثيابى وأحلق لحيتى . أما أنتم فتهيأوا للرحيل فان جوشارد لن يسلم بالهزيمة وسيتابع أبحاثه وتحرياته حتى يظفر بالبرهان على اننى لست بالدوق كارميراس .

وهيأ كاروليه ماء ساخنا للحلاقة ومضى يحلق لحية لوبين فلما فرغ منها دق جرس الباب فأسرع اليه فوجد أمامه بونافنت وقد تنكر فى ثياب خدم الفندق . فصاح به ، لماذا لم تحضر من باب الخدم ؟

— لقد كنت أجهل أن للخدم مدخلا خاصاً .

— ماذا تريد .؟

— خطاب للدوق كارميراس .

— أين هو .؟

— يجب ان اسلمه له يداً بيد .

— انتظر حتى يفرغ نخامته من ارتداء ثيابه .

وصعد كاروليه الدرج ولكن بونافنت لم يشأ الانتظار وانما صعد خلفه حتى بلغ قاعة التدخين فقال له كاروليه اليك مقعدا فانتظر .

وفى تلك اللحظة دق الباب دقا عنيفاً فأسرع كاروليه ينظر من الطارق . ولم يكد يبتعد حتى نهض بونافنت واقفاً وأسرع إلى البهو وقد أخرج مقصاً من جيبه قطع به أسلاك التليفون وحانت منه لفتة إلى المكتب الصغير القائم فى ركن المكان فرأى فوقه محفظة الاوراق التى أخرجها لوبين من الخزانة فتناولها على عجل ودسها فى جيبه ثم ارتد الى مقعده كما كان .

وفتح باب المخدع فى هذه اللحظة وبرز على عتبته ارسين لوبين وقال يخاطب الشرطى السرى المتنكر فى أزياء الخدم :

— ماذا تبغى ؟

فأجاب بونافنت وقد غير من صوته :
— اننى رسول من فندق ريتز جئت بخطاب للدوق كارميراس .
— هات الخطاب .
— ولكنه للدوق .
فقال لوبين فى اقتضاب : اننى أنا الدوق .
وتناول لوبين الخطاب وفضه وهو يقول :
— انتظر .. فقد أبعث معك رداً .
وأقبل كاروليه يقول : لقد طرق الباب بعنف ولكننى لم أجد أحداً عنده
ولم يكن الأمر غريبا لأن الذى طرق الباب انما هو أحد زملاء بونافنت أراد أن يبعد كاروليه حتى يفسح لصاحبه فرصة يقطع فيها أسلاك التليفون .
وكان هذا نص الخطاب : —
« سيدى
« لقد أفضى إلى مسيو جوشارد بكل شىء . ولست أستغرب منك أن تحب سونيا فانك لص مثلها . وبهذه المناسبة أذكر لك اننى قد عرفت ان الدوق كارميراس توفى منذ ثلاث سنوات واننى قد اعتزمت الزواج من ابن عمه مسيو ريلزيير الوريث الوحيد لهذا اللقب العتيد »

« بالنيابة عن المادموازيل جرمين مارتان »
« خادمتها ايرما »

وابتسم لوبين وقال : كاروليه . هيا اجلس فسأملى عليك خطاباً اذ هذه هى التقاليد فى الاوساط الراقية كما يلوح لى .
وأملاه الخطاب التالى : —
« سيدتى
« لقد سرنى أن أسمع الأنباء التى سقتيها الى ، وسأبعث اليك اليوم بهدية العرس راجيا أن تقبليها .
« بالنيابة عن جاك دى بلروت
« — مركيز دى ريلزيير
« — برنس أوف فيريو
« دوق كارميراس .
« خادمه — أرسين . »

فقال كاروليه فى صوت فزع : هل أكتب أرسين . ؟
فقال لوبين ! ولم لا .. ؟ أليس هذا هو اسمى . ؟
وأودع لوبين الخطاب مظروفا معطراً وقال لبونافنت : احمل هذا الى المدموازيل جرمين .
وتناول بونافنت الخطاب ومشى الى الباب ، ولكنه لم يكد يبلغه حتى كان أرسين لوبين قد وثب عليه وطوقه بذراعيه وألقاه طريحا على الأرض وهو يتوعده بقوله :
— اذا تحركت دققت عنقك . . ! كاروليه أخرج محفظتى من جيب هذا الشرطى الفائج ..! لقد حاول الغبى أن يسرقها وظننى خدعت بتنكره .

وأطلقه بعد أن استرد المحفظة وقال له : هذا تدريب صغير من المصارعة اليابانية .! والآن اذهب الى رئيسك وقل له انه أولى به أن يلقى لوبين وجها لوجه . !
فقال بونافنت وهو يقرض على أسنانه من الغيظ : انتظر فسيلقاك رئيسى بعد عشر دقائق على الاكثر . !

الفصل الثانى والعشرون

لم يكد بونافنت ينصرف حتى قال لوبين مخاطباً كاروليه وابنه ومدام فيكتوار :
— والآن أسرعوا بالفرار فان جوشارد لايلبث أن يهاجم البيت ومعه أمر بالقبض على .! غادروا البيت من الباب السرى .
— وأنت .؟ ماذاتنوى أن تصنع.؟
— سألحق بكم بعد برهة قصيرة .
وأسرع كاروليه وابنه إلى المصعد أما فيكتوار فتريثت وتباطأت عنهما وهى تقول: أما أنا فسأبقى معك قليلا .
ومشى لوبين إلى التليفون ودق الجرس مراراً دون أن يلبى نداءه أحد .
ولكنه فطن أخيراً إلى أن أسلاك التليفون مقطوعة فغمغم يقول : لقد عمد جوشارد اذن إلى إحدى الحيل التى تعلمها منى .! ولكن كيف أتصل الآن بسونيا .؟
فقالت مدام فيكتوار .. اذهب اليها .
— إننى لاأعرف مكانها .! كل ماعرفت من أمرها أنها مقيمة فى فندق بميدان إستار ولكنني لاأعرف اسمه . غير أننى احتفظت برقم تليفونه . فلامفر لى إذن من أن أنتظرها هنا فقد وعدتنى بالحضور فى الساعة الثامنة ان لم أخاطبها تليفونيا .
فصاحت به مدام فيكتوار . تنتظرها . ! أتريد أن توقع نفسك فى قبضة جوشارد . !
— أتبغين منى إذن أن أتخلى عن سونيا وأدع جوشارد يقبض عليها .! لامفر من انتظارها .
— الآن سأبقى معك.
فصاح بها لوبين محذراً . انك تزجين بنفسك فى الأخطار .؟
— لست أبالى .
ودق الباب فى هذه اللحظة فقالت مدام فيكتوار . انها سونيا لقد حضرت
— بل هو جوشارد .! اصغى إلى . بمجرد أن تفتحى له الباب تسللى إلى الخارج وارقبى البيت عن كثب فاذا رأيت سونيا آتية فامنعيها من الدخول .
فقالت مدام فيكتوار . ولكن هب جوشارد قبض على .!؟
— أغلب ظنى أنه لن يفطن إلى وجودك اذ سيدخل البيت مندفعاً ليبحث عنى . . فاذا ما فتحت له الباب فتوارى خلفه ، واذهبى بسونيا الى حانة باسى ، وسألحق بكما هناك ، هيا أسرعى .
ومضت فيكتوار الى الباب والجرس مازال يدق .
أما لوبين فجلس على مقعد فى قاعة التدخين وتناول إحدى الصحف ينظر فيها .
وسمع لوبين صوت الباب الخارجى وهو يفتح ، ثم سمع وقع خطوات على كثب منه ، ووقف جوشارد على عتبة الغرفة يحملق فى لوبين وهو لايصدق عينيه .
لقد كان يظن أنه سيجد لوبين قد فر واختفى فاذا به يجده فى انتظاره يطالع الصحف ويدخن فى هدوء . !

وقال جوشارد صباح الخير يالوبين .

— صباح الخير ياجوشارد .

— أ كنت تنتظرنى .. ؟ أرجو ألا أكون قد تأخرت كثيراً .؟

— كلا، شكراً لك ، وبهذه المناسبة أؤكد لك أسفى لسرقة التاج .! لقد كانت كارثة ياجوشارد .! وكارثة غير منتظرة . !

وجال جوشارد بنظره فى أرجاء القاعة ثم قال ! منزل جميل .

— حقا .! شكراً لك على هذا الاطراء .! ويؤسفنى اننى لا أستطيع أن أقدم اليك قدحا من القهوة لأن خدمى قد فروا جميعا فزعا من رجالك .

فقال جوشارد باسما — كن مطمئنا فسأقبض عليهم جميعا .

فضحك لوبين وقال — أرجوك أن تعجل إذن فتريحني منهم قبل أن يحل أول الشهر فيطالبونني بأجورهم !

ثم أردف يقول متهكما : أرجوك ألا ترفع قبعتك عن رأسك ! كلا . كلا . لاضرورة لذلك !

فرفع جوشارد يده إلى قبعته ولكنه مالبث أن أنزلها واستوى جالساً على أحد المقاعد .

وقال أرسين لوبين يسأله : الديك أمر بالقبض على ؟

— بلا شك . .

— وهل استصدرته ضد لوبين أم ضد الدوق كارميراس ؟

— ضد لوبين الذى يطلق على نفسه اسم كارميراس

— إذن فقد اتخذت لنفسك الحيطة ياجوشارد ! ولكن ماالذى تبغى من الانتظار ؟

— لاشىء أ كثر من أن أقنع نفسى بلذة الانتصار عليك

فقال لوبين فى استخفاف وهل انتصرت ؟

— بلا شك ؟ انك الآن تحت رحمتى !

— لم يحن الأوان بعد ياجوشارد !

— بل لقد حان !

— ثم مال اليه وهو يقول . أتعرف أين توجد سونيا الآن ؟

فقال لوبين فى صوت حاد ماذاتقول ؟

انى اسألك عما اذا كنت تعرف مكان سونيا .!

فلم يجب لوبين على هذا السؤال وانما قال وهل تعرف أنت مكانها .؟

فقال جوشارد فى لهجة انتصار : بلا شك : انها الآن فى فندق صغير فى ميدان استار ورقم تليفونه ٥٥٥ فهيا تحدث اليها ، !

فعبس لوبين قليلا ولكنه مالبث أن استرد هدوءه وقال ولم أتحدث اليها .؟

— لاشىء .. لاشىء . .

وساد الصمت برهة ثم قال لوبين بغتة :

جوشارد .. يجب أن تدع هذه الفتاة وشأنها . انك تكرهنى أنا . وتطاردنى أنا .. لقد حيرتك طويلا . . ودوخت أنبغ رجال البوليس السرى . ولكن هذه الفتاة .. انها طفلة بائسة فلا تتعرض لها بسوء . جوشارد . قل إنك لن تقبض عليها .. إقبض على أنا إذا شئت . أماهى فدعها وشأنها .

فقال جوشارد فى صوت خافت. هذا أمر يتوقف عليك أنت .!

على أنا .؟ ماذا تعنى؟

سأعرض عليك صفقة رابحة . !

— تكلم إذن . . ماذا تبغى .؟

فقال جوشارد فى صوت هادىء . اننى أعرض عليك الحرية .

حرية من يا ترى..

— حرية المرأة الوحيدة التى تحبها : سونيا.

فضحك لوبين وقال . انك مساوم بارع .!

وفكر لوبين برهة ونظر الى الساعة مرتين ثم قال . أتقسم بشرفك ألا يلحقها سوء .؟

— نعم • أقسم بشرفى •

— وكيف تستطيع ان تنقذها من الاتهام ؟

— سألقى تبعة السرقات القديمة وسرقة القلادة على كاهلك أنت •

فابتسم لوبين وقال : ان كاهلى لن ينوء بهذه السرقات او اضعافها •! ولكن خبرنى • ماذا تبتغى منى لقاء حرية سونيا •؟

— كل شىء • أعد إلى الصور والسجاجيد والمكاتب والتاج • وجميع المعلومات الخاصة بوفاة الدوق كارميراس • هل قتلته ؟

— أهذا ظنك بى ياجوشارد •! انك تعرف أننى لا ألجأ إلى العنف ولا ألوث يدى بالدماء •

وساد الصمت برهة ثم قال جوشارد : اننى أريد أن عرف جوابك •!؟

— جوابى ! الرفض طبعاً • !

— وما الفائدة • سأقبض على سونيا • كما اننى قبضت فعلا على فيكتوار •

فصاح لوبين : هل قبضت على فيكتوار ؟

— ولكننى مستعد لاطلاق سراحها •

ودق جرس الباب فى هذه اللحظة فقال لوبين :

— دعنى أفكر فى الأمر •

وأقبل ديوزى اذ ذاك فظن لوبين انه جاء يعلن جوشارد بقدوم سونيا فقال لوبين جوشارد • لقد قبلت ماعرضته على!

ولكنه حين سمع ديوزى ينبىء جوشارد بأن الطارق هو اللبان بانت أمارات الارتياح فى وجهه وقال :

— لقد عدلت ! إننى أرفض . . !

فقال جوشارد فى وحشية : كن متيقنا من إننى سأقبض عليها .

— وما دليلك ضدها . . ! ليس لديك أى دليل ضدها . !

فضحك جوشارد وقال . إنك أذكى من هذا يالوبين..أتظن اننى أعجز عن أن أحملها على الاعتراف بما ارتكبت

فصاح لوبين حانقا : إنك ندل . . !

وساد الصمت برهة ثم قال لوبين : ومع هذا فهى صفقة رابحة . . ! سأضمن حرية سونيا وفيكتوار . . .

وأعيد اليك المسروقات . . ولكن فى وسعى أن أستردها بعد ذلك .

فقال جوشارد هازئا . نعم . . يمكنك أن تستردها بعد أن تخرج من السجن .
فضحك لوبين وقال لـكى أخرج من السجن يجب أن أدخله أولا . .
— بمجرد قبولك ماسأعرضه عليك سألقى عليك القبض . . هل تقبل هذه الصفقة .
— كلا . . لن أقبل .

فعض جوشارد على شفتيه غيظاً..

ودفع الباب فى هذه اللحظة ودخل ديوزى يقول:
— لقد جاءت المادموازيل كريتشوف .

فصاح جوشارد فى صرامة إقبض عليها . إقبض عليها .
فصاح لوبين كلا . انك لن تمسها . انك لن تمسها بسوء !
ووثب قائما كالنمر الهائج فقال جوشارد أتقبل إذن !

وساد الصمت برهة . ثم أحني لوبين رأسه موافقاً فقال جوشارد مخاطباً مساعده : دع الفتاة تنتظر قليلا .
وقال لوبين على أثر انصراف ديوزى .
— والآن دعنا نحدد الصفقـة فى جلاء . . . انك تريد مني أن أرد اليك الصور والسجاجيـد والمكاتب والتاج وشهادة الوفاة الخاصة بالدوق كارميراس . ومقابل هذا تعـدنى بشرفك ألا يلحق المادموازيل كريتشوف أى سوء ؟ أليس كذلك ؟
— هو ذاك .
— أى اننى اذا أعدت اليك هذه الأشياء تخليت عن الاهتمام بسونيا ؟
— طبعاً .
— مهما حـدث بعد ذلك ! أعنى أنك لن تتعرض لها بسوء حتى بفرض انى اسـتعدت ثانياً بعض هـذه الاشياء أو بفرض انى استطعت الفرار منك ؟
فقال جوشارد وعيناه تلتمعان .
— نعم . حتى ولو تحقق هذان الغرضان . !
— أتقسم بشرفك . ؟
— أقسم بشرفى .
— حسناً . لقد قبلت اذن . ! اليك هذه المحفظة ففيها جميع الأوراق الخاصة بوفاة الدوق كارميراس . وفيها أيضا قسائم الشحن الخاصة بالمسروقات إذ اننى أرسلتها إلى محطة تنيول وهى المحطة التى كنت أذكرها فى رسائل التهديد لأننى أيقنت انه لن يخطر لك أن تبحث فى هذه المحطة مادمت ترانى أذكر اسمها صراحة .
واختطف جوشارد المحفظة كأنما كان يخشى أن يرجع لوبين فى رأيه . وقال يسائله : ولـكن أين التاج ؟
— انه عند قدميك . ! فى حقيبة الثياب . !
وتناول جوشارد التاج ففحصه ثم قال : انه التاج الحقيقى . !
فضحك لوبين وقال : أموقن أنت من هذا ! . !
ثم أردف ساخراً أما العلبة فقد تركتها فى حراستك فى بيت مسيو مارتان
فعقد جوشارد مابين حاجبيه وقال . دع المزاح فقد آن أوان الجد . !
وأخرج الأغلال من جيبه وهو يقول : — والآن هات يديك . !

الفصل الثالث والعشرون

مد لوبين يديه إلى الأغلال وهو يقول

— إنك لحسن الحظ ياجوشارد . ! فلولا الحب لما وقعت تحت رحمتك . ! ولـكنك لن تأبى على أن ألقاها الآن برهة ..!

— كلا .. سأدعوها إلى مقابلتك .

ولما انتهى جوشارد من تصفيد يدى لوبين أمر مساعده بأن يدعو سونيا

ولما سمع لوبين وقع خطواتها وهى مقبلة مشى الى النافذة وأدار ظهره إلى ناحية البـاب حتى يخفى الأصفاد التى فى معصميه .

وسمع صوت جوشارد صادراً من البهو وهو يقول لها :

— انك مطلقة السراح ياسونيا ويجب أن تشكرى الدوق فهو الذى أنقذك

فقالت سونيا ! هو الذى أنقذنى .؟

— نعم . !

فأسرعت الى قاعة التدخين لتشكر الدوق وهتفت قائلة!

— أوه .. شكراً لك .. شكراً لك ٠٠

ولـكنها حين رأته يوليها ظهره بان القنوط فى وجهها وقالت :

— أوه ٠ ! لقد أخطأت إذن فى الحضور ٠٠ لقـد ظننت بالأمس أن ٠٠ أوه ٠٠ صفحاً ٠٠ صفحاً ٠٠ اننى ذاهبة ٠

فقال لوبين فى صوت حزين ! سونيا؟

فصاحت فى صوت باك ! اننى أفهم موقفك ٠ ! اننى أقدر شعورك ٠٠ انني أقسم لك اننى أكره ماضى ٠! بالله عليك لاتحتقرنى ٠! لن أسرق مرة أخرى ٠! لقد ندمت وأصبحت الآن لا أطيق أن أرى لصا أمامى ٠!

فقال لوبين وقد تخضب وجهه احمراراً ! اضمنى ٠٠ اضمنى ٠٠

ولـكنها استطردت تقول ! لست ألومك لأنك تحتقرنى .! لقد لوثت يدى بالسرقة فأنا جديرة بالازدراء ولـكنني أقسم لك اننى الآن نادمة على ما فعلت

وطفقت تبكى

وقال لوبين ! سونيا ! انك تعذبينني !

فصاحت المسكينة فى صوت مختنق

— لن أدافع عن نفسى . ! لن أدافع عن نفسى . . وسأرحل الآن ولن أراك بعد اليوم . . ولـكن يجب أن تعلم الحقيقة . . يجب أن تعلم أننى أحبك ولن أنساك . ! وسأظل أذكرك على مدى الأيام والآن هـلا صافحتنى ! هلا ودعتنى ؟

فقال لوبين فى انفعال : كلا . كلا .

فصاحت سونيا فى صوت باك :

— أترفض أن تصافحنى ! لا تكن قاسيا !

فقال لوبين فى صوت أجش سونيا ! إنك لا تعرفين الحقيقة أصغى إلى لقد قلت منذ لحظات انك أصبحت

لا تطيقين أن تنظرى إلى لص .

فصاحت الفتاة

— نعم .. وأقسم لك على ذلك !

ودخل جوشارد الغرفة فى هذه اللحظة واستطرد لوبين يقول : وإذا لم أكن الرجل الذى تظنين ؟

فقالت سونيا فى حيرة ماذا تعنى ؟

— هى أننى لست الدوق كارميراس .؟

— لست الدوق ! ماذا تعنى ؟

— هى أننى لست رجلا شريفا أمينا ؟

فصاحت سونيا أنت .؟

— نعم أنا . هبينى لصاً . إفرضى أننى .

فقال جوشارد على عجل

— أرسين لوبين !

واستدار اليها لوبين ولوح أمامها بالأصفاد التى فى يديه

فصاحت سونيا أنت أرسين لوبين ! اذن .. اذن فقد ضحيت بنفسك لأجلى ! فقد افتديتنى بحريتك ! اذن فانت تحبنى .. آه .. ما أسعدنى !

وأسرعت اليه وارتمت على صدره تقبله .

فتمتم جوشارد يقول يالالنساء !! أليست هذه هى الفتاة التى ندمت وأصبحت لا تطيق أن ترى لصا !

وقال لوبين : سونيا .. اننى لا أصدق هذا .. اننى أسعد الناس ! سأرجع عن غيى ! لقد رجعت عن ماضى ! سأكون رجلا شريفا ..

— حقا ؟

— أقسم لك على ذلك

وقال جوشارد لوبين .. هيا بنا فقد أزف الوقت ...

ودخل بونافنت يجرى وهو يقول مسيو جوشارد .. لقد اهتديت اليه !

— اهتديت الى أى شىء ؟

— المدخل السرى .. لم نفتح الباب بعد ولكننا مازلنا نعالجه

— حسنا والآن هيا بنا ..

فهمس لوبين فى أذن سونيا . انتظرينى مع فيكتوار فى البهو فاذا أخرجوكما فانتظرانى على كثب من البيت . اننى لن أذهب الى السجن .

ثم رفع صوته وقال : وداعا ياسونيا !

فقبلته وهى تقول .

— وداعا يالوبين .!

وبعد أن انصرفت سونيا قال جوشارد :

— هيا بنا فان مركبة السجن فى انتظارنا .

فابتسم لوبين وقال : ومن أنبأك اننى أنوى أن أذهب إلى السجن .؟!!

وارتمى على الأريكة فقال جوشارد : هل أفهم من هذا أنك ترفض الذهاب .؟

— كلا .. كلا . .

ونهض واقفاً وهو يقول : ولكنني مدعو اليوم لتناول العشاء فى السفارة الانجليزية . !

فقال جوشارد متوعداً : لوبين .! دع عنك المزاح .. فانني لا أجهل الآن خدعك وألاعيبك . !

فابتسم لوبين وقال : ولكنك تجهل هذه اللعبة . !

وبسط يديه وجعل يحركهما ويلويهما مرة بعد مرة فاذا به يخرجهما من الأغلال !!

وألقى لوبين الأغلال على الارض وقال باسماً : لعبة ظريفة سأعلمها لك يوما ما . !

ثم أردف يقول : إن الأمر بين . وعلى أن أختار، بين السجن والفراق والعذاب، وبين الحياة السعيدة مع سونيا . وقد اخترت أن أعيش مع سونيا . !

والتمعت عيناه ببريق مخيف فصاح جوشارد .

— ديوزى بونافنت . النجدة . النجدة .

وفتح الباب ودخل بعض رجال الشرطة مسرعين .

وتراجع لوبين الى الخلف وكشف غطاء صندوق من الورق المقوى كان موضوعا على طاولة قريبة وتناول منه قنبلة صغيرة الحجم • وصاح جوشارد برجاله • إقبضوا عليه !

فكان جواب لوبين • احذروا ! انها قنبلة مدمرة ! إرفعوا الأيدى •!

فتراجعت رجال الشرطة إلى الوراء فى فزع وصاح جوشارد يستحثهم:

ـ تقدموا لا تخشوا شيئاً •!

ولكن بونافنت صاح برئيسه:

ـ مسيو جوشارد •! ان لوبين لا يهزل ولا يعبث • انظر الى عينيه •! لقد فقد صوابه •

وكانت نظراته فى الواقع أشبه بنظرات رجل مجنون فقد الوعى .! وكانت عيناه تبرقان ببريق مخيف وهما تطلقان الشرر •

وقال ديوزى : لقد جن لوبين •! انه لن يتردد فى إلقاء القنبلة •

فقال لوبين : نعم • لن اتردد •! لقد افقدنى الحب صوابى فاما أن أعيش مع سونيا واما ان أموت •! أما أن أذهب الى السجن فلا • لا • ! أفهمتم •؟

وقال ديوزى متوسلا : دعه ينطلق أيها الرئيس . . !

وقال بونافنت : دعه وشأنه وإلا أهلكنا جميعاً . . !

فصاح جوشارد : أيها الجبناء .. ! إذن سألقاه وحدى . !

وهم بأن يثب على لوبين ولكن مساعديه وقد خافوا سوء العاقبة كانوا أسرع منه حركة فانقضوا على رئيسهم وأمسكوا به يردونه عن مهاجمة لوبين خشية أن ينفذ وعيده ويرمى القنبلة فتنسفهم نسفاً .

وحاول جوشارد أن يتملص من مساعديه وصاح لوبين : والآن فى جيب رئيسكم محفظة فهاتوها ، وفى جيبه الثانى التاج فهاتوه أيضاً . !

فصاح جوشارد : كلا .. كلا .. لن أعيد اليك شيئاً من هذا . !

فلوح لوبين بالقنبلة وهو يقول : الويل لكم الآن . ! ووداعاً أيتها الحياة .. !

وأرسلت عيناه هذا البريق الجنونى المخيف ، فصاح به بونافنت : انتظر ... انتظر ...

وتعاونت رجال الشرطة على رئيسهم فأمسك هذا بذراعه الأيمن والآخر بذراعه الأيسر وأخرجوا من جيبه التاج والمحفظة وأعادوهما الى أرسين لوبين

وقال لوبين باسماً : شكراً لكم .!

ثم أزاح رفوف الكتب فانكشفت عن المصعد .

ودخل لوبين الى المصعد والقنبلة مازالت فى يده ، ولكنه قبل أن يغلق باب المصعد على نفسه قال يخاطبهم :

— والآن ... أستودعكم الله . . !

وأوهمهم أنه سيقذفهم بالقنبلة فتراجعوا الى الخلف مذعورين .

واغتنم لوبين هذه الفرصة فأوصد باب المصعد وضغط الزر فهبط به على الفور .

وصاح جوشارد برجاله والآن هيا بنا فى أثره أيها الحمقى ! فليذهب بعضكم الى الباب السرى والبعض الى الباب الأمامى والبعض الى الشارع .. هيا .. أسرعوا . . .

وانصرفت الرجال مسرعين لينفذوا تعليمات رئيسهم .

أما جوشارد وديوزى فقد اندفعا الى باب « البئر » الخاص بالمصعد يبحثان عبثاً عن الزر . وعلى حين بغتة سمعا دويا ثم فتح الباب الحديدى من تلقاء نفسه ووجدا المصعد أمامهما خاليا .

ووثب جوشارد الى داخل المصعد وفى أثره ديوزى . واستقرت عينا جوشارد على الزر الداخلى فضغطه على عجل فاوصدت الأبواب على الفور . ولكن جوشارد وصاحبه ديوزى ذهلا حين رأيا المصعد يرتفع بهما نحو ثمانية أقدام ثم يقف معلقا فى وسط الفراغ الذى يقع بين الطابقين الثانى والثالث ! !

ولكن فى نفس هذه اللحظة كان هناك مصعد آخر يهبط إلى الطابق الأرضى .. وفيه أرسين لوبين .

لقد تهيأ لوبين لمثل هذه المواقف فانشأ مصعدين فى داره يستقل أحدهما ويهبط به أو يصعد كما يشاء . أما المصعد الثانى فيتركه فى متناول مطارديه حتى إذا دخلوا اليه وأرادوا اللحاق به وضغطوا الزر صعد بهم المصعد الى الاعلى ثم وقف معلقا فى الفضاء كما كان الآن شأن جوشارد ومساعده ديوزى .

وفى أثناء هبوط المصعد كان لوبين قد عمد إلى التنكر وتغيير هيئته وقد أعد فى الحقيبة التى يحملها كل أدوات التنكر .

فما مضت لحظات حتى خرج من باب المصعد وقد استحال شخصاً آخر .

لقد خلع ملابس الدوق كارميراس وتركها على أرض المصعد . وكان فى هذه اللحظة فى ثياب . ثياب شبيهة بما يرتديها جوشارد . !

نفس المعطف ونفس القبعة .! والشعر الأسود المستعار يغطى رأسه .!

ونظر لوبين صورته فى المرآة . وقال ضاحكا : لو أن جوشارد رآنى لحسب نفسه ينظر فى المرآة

وتناول القنبلة التى هدد بها رجال الشرطة فألقاها على الأرض . ولكنها لم تنفجر لأنها لم تكن سوى كرة من المطاط الاسود .!

وخرج لوبين إلى البهو فوجد سونيا . وفيكتوار فى انتظاره وقد وقف أحد رجال البوليس يحرس فيكتوار وقال لوبين يخاطب الشرطى وهو يقلد صوت جوشارد : اسمع .:

فرفع الشرطى يده بالتحية الى رأسه فقال له لوبين وقد ظنه الشرطى جوشارد : أمعك مسدسك . . ؟

— نعم ياسيدى . .

— حسناً ..! إياك أن تستعمله .. اننى لا أحب العنف .. أفهمت . . ؟

— نعم ياسيدى .

— قف عند باب هـذا المصعد .. سيهبط بعد لحظات وفيه ديوزى وأرسين لوبين .! انهما يتضاربان .. ألا تسمع الصوت . !

— نعم انني أسمع ضجة ياسيدى .

والواقع انها كانت ناشئة عن محاولة جوشارد وديوزى مغادرة المصعد بعد أن حبسا فيه .

واستطرد لوبين يقول : فاذا ماهبط المصعد فاقتحم الباب وانقض على أرسين لوبين ، وإياك أن تدعه يفلت من يدك . ! مت فى سبيل واجبك .. أفهمت . ؟

— لقد فهمت ياسيدى .

— أما هذه المرأة فيكتوار فسآخذها معى فى سيارتى .!

وقادها من يدها هى وسونيا الى سيارة جوشارد الواقفة بالباب بعد أن همس فى أذنهما بأنه لوبين ، ولما انطلقت بهم السيارة قالت سونيا :

— لعمرى .. انك لتشبه جوشارد .!

فقال لوبين ضاحكا : لقد مات ارسين لوبين ولن يعود بعد الآن الى الحياة .!

واجتذب سونيا إلى صدره يقبلها .!

وفى نفس هذه اللحظة كان المصعد قد هبط الى الأسفل . ولم تكد أبوابه تنفتح حتى خرج منه ديوزى وفى أثره جوشارد .

وترك الشرطى ديوزى وانقض على جوشارد وقد ظنه ارسين لوبين دون أن ينظر إلى وجهه . ودام صراعهم لحظة وجوشارد يصيح : دعنى . دعني . اننى المفتش جوشارد .!

وفطن الشرطى إلى غلطته فتراجع الى الوراء خجلا من غباوته .

وقال جوشارد فى قنوط : لقد هرب إذن مرة أخرى .! ان ارسين لوبين ليس انسانا .! إنه شيطان .! هذه فضيحة جديدة تلصق باسمى .! سأستقيل اليوم حتما وأخلى الميدان.! ألا لعنة الله على كل فاجر.!

تمت

هذه باكورة عامنا الجديد

وستتلوها ثمار شهية . نتعهدها ونرعاها ثم نقدمها اليكم

ثمارا يانعة لذيذة

وسيعقب هذا العدد الممتاز الفريد أعداد ممتازة رائعة أخرى

من شهر زاد ومن مسامراتها ، وكل عدد لاحق أمتع وأروع

من سابقه .

وستطالعكم شهر زاد فى عددها القادم

أولا — بقطعة من روائع الكاتب الدعابى العظيم والأستاذ الجليل ابراهيم عبد القادر المازنى

ثانيا — قصة مصرية ظريفة بقلم أنور المرصفى

ثالثاً — بالقصة الثالثة من أقاصيص الغرام المقتبسة من التوراة والتى يتولى ترجمتها الأستاذ أحمد عبد القادر المازنى

رابعاً — بقصة قاتلة زوجها عن الكاتبة القديرة نورا يورك للاستاذ صادق راشد

خامسا — من المقتول ؟ عن الفرنسية

سادساً — بقصتين مصريتين أخريين

وغير ذلك من القصص الاخرى والمسابقات والطرائف المختارة والابواب المسلية . الخ

يظلم نفسه من لا يطالع شهرزاد